وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

لنا كلمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد التقي الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين.

اختلف المسلمون عبر تاريخهم الطويل في أمور هامة تتعلق بالنبوة والخلافة والإمامة. وقد ركزنا بحثنا على مسألة العصمة لارتباطها الجوهري بالنبوة. كما قمنا بعرض رأيين مختلفين حول الإمامة والخلافة والعصمة، مرجحين أحدهما على الآخر من خلال النص القرآني والأحاديث النبوية المتفق عليها، ومن خلال المناقشات العقلية، وقد انتهى بنا الأمر إلى التأكيد على: أن الإمامة ركن أساسي في الإسلام لا غنى عنها للمسلم المؤمن، وهذا بدوره أفضى بنا إلى التوقف عند مفهومي الإسلام والإيمان والفرق بينها.

قد يتساءل البعض لماذا نطرح هذه الموضوعات؟. .

ونجيب بكل صدق: إننا نطرحها من أجل إظهار الحقيقة فقط، ولم نتقصد عرضها بسبب أية ظروف كائنة الآن أو ستكون في المستقبل، وإنما كان الدافع الحقيقي هو غربلة هذه المفاهيم من كل الشوائب التي علقت بها، وبخاصة لأسباب سياسية، ولن يكون هدفنا في أية حال من الأحوال إثارة أحد، أو الطعن عليه، فذلك أبعد ما يكون عن تفكيرنا وندعو الله أن نتوحد جميعنا فيما يرضيه.

ونحن سلفاً نتقبل كل رأي مغاير ونحترمه بشرط ألاّ يكون رأياً استفزازياً أو تكفيرياً. .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

إن الخلاف في الآراء هو ظاهرة حضارية، وعلى المتلقين أن يقارنوا بينها، ويختاروا بحرية أفضلها، أو يختاروا بحرية ما هو الأفضل في كل منها. ولكن اختلاف الآراء عندما يؤدي إلى الصدام، فإنما هو حلقة من حلقات التخلف التي تمزق المجتمع، وتعود به إلى عصور الانحطاط، وإلى التشرذم والفرقة، ونحن بأمّس الحاجة للوحدة الوطنية والقومية في آن واحد، لكي نستطيع التصدي للهجوم الإمبريالي الصهيوني، وأن ننتصر عليه.

المؤلف

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

العصمة

في لسان العرب، مادة عصم: العصمة في كلام العرب: المنع. وعصمة الله عبده: أن يعصمه مما يوبقه، يعصمه عصماً: منعه ووقاه. وفي التنزيل: (لا عاصم من أمر الله إلا من رحم) أي: لا معصوم إلا المرحوم. العصمة: المنعة، والعاصم: المانع الحامي، ومنه شعر أبي طالب: ثمال اليتامى عصمة للأرامل، أي يمنعهم من الضياع والحاجة.

بعد هذا العرض الموجز لمعنى العصمة، نسأل: هل كان الرسول معصوماً؟ أي: لا يقع في أي خطأ أو معصية مهما كانت صغيرة أو كبيرة؟.

هنا انقسم المسلمون فريقين:

الفريق لأول: (وسوف نستخدم هذا المصطلح حتى النهاية) يراه معصوماً في أمور الوحي الإلهي فقط، أما في ما يتعلق بأمور الدنيا، فهو معرض للخطأ والصواب في اجتهاده، وأصحاب هذه الفريق يؤيدون أقوالهم بالشواهد التي بات يعرفها الجميع، ونذكر منها:

- **حديث تأبير النخيل** وفيه يقول الرسول (ε) للمزارعين: (اذهبوا فأنتم أعلم بأمور دنياكم مني).

- **وحديث آخر:** مؤداه أن رسول الله قد يحكم للظالم على المظلوم، إذا كان الظالم أشد فصاحة من المظلوم. هذا على صعيد الأحاديث، وأما على صعيد النص القرآني، فهناك آيتان:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

قال الله تعالى في سورة الأنفال 67: (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم).

وقال تعالى: (عبس وتولى أن جاءه الأعمى...)

وهذه الشواهد في نظر الفريق الأول، تؤكد أن الرسول (ε) يمكن أن يقع في اجتهادات خاطئة تتعلق بأمور دنيوية.

الفريق الثاني: يرى أن الرسول (ε) معصوم من الوقوع في أي خطأ في الدين أو الدنيا على حد سواء، ولهؤلاء أيضاً شواهدهم:

قال الله تعالى: (والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى).

وقال تعالى: (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول...) سورة النساء59.

وقال تعالى: (إنما وليكم الله ورسوله...) المائدة 55.

وقال تعالى: (وإن تطيعوه تهتدوا...) النور 54.

وقال تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم...) سورة النساء آية 65.

إذاً هناك رأيان متناقضان، لكن الحكمة والعقل والإيمان توحي أن عصمة الرسول (ε) هي الحالة الواجبة الوجود، لئلا يكون هناك خلل وارتياب في الأوامر والنواهي، وهذا لا يجوز بأية حالة من الأحوال. ومع ذلك نستمر في المناقشة ونطرح السؤال التالي: ما هو المخرج؟

نقول: ما دامت لدينا نصوص متناقضة حسب فهم كل فريق لها، فقد بقي هناك نص قرآني تجب العودة إليه والوقوف عنده، وهو قوله تعالى في سورة آل عمران 7: (هو الذي أنزل عليك

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله...)

هذا النص الإلهي يضعنا شئنا أم أبينا أمام اختيارين:

الأول: يأخذ بالمحكم، و**الثاني:** يأخذ المتشابه. . وهنا نسأل أيضاً بوضوح: هل الآيات والأحاديث التي تعصم الرسول متشابهة؟ والآيات والأحاديث التي لا تعصم الرسول محكمة؟

أم أن العكس هو الصحيح؟!

هنا تبرز أهمية العقل الإيماني في الاختيار، ولا مناص لدى كل مسلم من الاختيار: إما العصمة المطلقة أو عدمها. . لأن العصمة لا تتجزأ... ولهذا سنبدأ بالرد على ما أورده الفريق الأول من الحجج الدالة حسب رأيه على احتمال وقوع الرسول في الخطأ الاجتهادي. . وسنبدأ بالآية التي ذكرناها قبل قليل والمتعلقة بفداء الأسرى.

قال تعالى: (ما كان لنبي أن يكون له أسرى...) الآية. نقول: إما أن هذه الآية ليست كما فسرها الفريق الأول أي أن الرسول هو الذي قبل الفداء. . بل كان هو رأي أكثرية الصحابة في قبول الفداء، وبالتالي فإن الغاية من نزول هذه الآية، هي: أن على الرسول الأخذ برأيه وحده، لأن إجماع الأكثرية بوجود الرسول لا يدل على الصواب. وكان هذا درساً وتعليماً للمؤمنين الذين لا يختارون بوجود الرسول، وإنما يقولون: سمعنا وأطعنا.

قال تعالى في سورة النور 51: (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

والخيرة والاختيار كما يعرف الجميع هي لله ورسوله ولهذا نرجح أن الذين اقترحوا على الرسول قبول الفداء هم من المسلمين وليسوا من المؤمنين...

وفي سورة النور 54 قال تعالى: (وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين). وما يزيد في قناعاتنا أن الرسول لم يكن مقصوداً بالخطاب هو أن الله سبحانه وتعالى يؤنب هؤلاء الصحابة الذين يريدون عرض الدنيا، والله يريد الآخرة والخطاب لا يمكن أن يكون للرسول فمن غير المعقول أنه يريد عرض الدنيا بدلاً من عرض الآخرة.

وجاء في شرح الجلالين (ص345) قوله في شرح هذه الآية: تريدون عرض الدنيا: حطامها بأخذ الفداء، (والله يريد) لكم (الآخرة)، أي: ثوابها بقتلهم... وهذا منسوخ بقوله تعالى (فإما منا بعد وإما فداء) سورة محمد 4. والحقيقة أن هذا الشرح يؤكد أمرين:

الأول: وهو أن الخطأ قد حدث بقبول الفداء.

الثاني: يسوغ هذا الخطأ ويجد له مخرجاً بوجود آية أخرى لم تكن قد نزلت بعد (لأن سورة الأنفال نزلت قبل سورة محمد) أي أن خطأ الرسول كان أمراً طبيعياً لأنه خطأ اجتهادي.

ولمزيد من الإيضاح، نقول: إن الخطاب الإلهي (ما كان لنبي أن يكون له أسرى)، هو خطاب غير مباشر للرسول، وهذا دليل على أنه لم يكن هو المقصود، وقد رأينا في القرآن الكريم لغة الخطاب المباشر للرسول (ε)، عندما يكون الأمر متعلقاً به، كقوله تعالى في سورة الأنفال 64: (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين). وكذلك في قوله تعالى في

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

السورة ذاتها: (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال. .)65. ومثل ذلك كثير جداً في القرآن الكريم.

إن اقتراح بعض الصحابة على الرسول لقبول الفداء، يقابله هذا الجواب الإلهي: (ما كان لنبي...)، وهذه صيغة عربية غاية في الفصاحة، فإذا كان هناك أمير وحوله بعض الحاشية، ثم قامت هذه الحاشية بتقديم اقتراح لهذا الأمير فقبله... ولكن عندما يصل هذا الأمر للرئيس الأعلى لهذا الأمير، فإن هذا الرئيس إذا لم يكن موافقاً سيقول مخاطباً أولئك الذين قدموا هذا الاقتراح: ما كان لهذا الأمير أن يقبل، لأنكم، أي أصحاب الاقتراح، تريدون كذا وكذا... وهذا تماماً ما حدث، فقد خاطب الله سبحانه وتعالى هؤلاء الصحابة الذين اقترحوا الفداء بقوله: (تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة). وهذا اتهام مباشر لمن يرغب في الدنيا بدلاً عن الآخرة. ولو انتقلنا إلى الآية التي تليها، لرأينا أموراً أخرى، قال تعالى: (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) 68.

وفي شرح الجلالين (ص 245)، جاء (لولا كتاب من الله سبق) بإحلال الغنائم والأسرى لكم (لمسكم فيما أخذتم) من الفداء (عذاب عظيم).

نلاحظ أن الخطاب مازال موجهاً إلى بعض الصحابة الذين اقترحوا عملية الفداء، وفي هذا الخطاب ما فيه من التهديد بالعذاب العظيم وهذا لا يعقل أن يكون موجهاً إلى الرسول.

إذاً، لا حجة لمن يحتج بان الرسول، قد أخطأ في قبوله فكرة الفداء، لأن الكلام لم يكن موجهاً إليه، بل كان موجهاً لغيره في أمرين: أولهما: واضح، وهو وقوع هؤلاء المقترحين للفداء في الخطأ، والأمر الثاني: مستتر بعض الشيء، وهو أن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

هؤلاء المقترحين أو غيرهم لا يحق لهم أن يقترحوا بوجود الرسول والمؤمنون لا يفعلون ذلك.

والنتيجة أن هذه الآية تؤكد عصمة الرسول، ولا تجرحها، وفيها شيء من الدين والدنيا ولا انفصال بينهما.

الآية الثانية: قال تعالى: (عبس وتولى أن جاء الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى، كلا إنها تذكرة، فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة قتل الإنسان ما أكفره).

لنقرأ معاً بعضاً من شرح جلالين في الصفحة 784: (عبس) النبي: كلح وجهه، (وتولى): أعرض، لأجل (أن جاءه الأعمى): عبد الله بن مكتوم، فقطعه عما هو مشغول به ممن يرجو إسلامه من أشراف قريش، الذين هو حريص على إسلامهم، ولم يدر الأعمى أنه مشغول بذلك، فناداه: علمني مما علمك الله، فانصرف النبي إلى بيته فعوتب في ذلك بما نزل في هذه السورة. (وما يدريك لعله يزكى) أي: يتطهر من الذنوب بما يسمع منك، (أو يذكر فتنفعه الذكرى) أي: يتعظ العظة المسموعة منك، (أما من استغنى) بالمال (فأنت له تصدى) تقبل وتتعرض، (وما عليك ألا يزكى) يؤمن، (وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى).

وعن أسباب نزول الآية: أخرج الترمذي والحاكم عن عائشة، قالت: أنزل (عبس وتولى) في ابن مكتوم الأعمى، أتى رسول الله، فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني وعند رسول الله رجل من عظماء المشركين فجعل رسول الله يعرض عنه،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ويقبل على الآخر، فيقول له: أترى بما أقول بأساً؟ فيقول: لا فنزلت (عبس وتولى).

نقول إن من يقرأ هذه السورة الكريمة ويتدبر معانيها وأسباب نزولها فسوف يجد الملاحظات التالية في هذا الشخص الذي نزلت فيه وهي:

1-انه يعبس ويسْوَد وجهه لمجيء الأعمى.

2-يجهل أن هذا الأعمى جاء ليتطهر من ذنوبه.

3-يهتم بالغني المشرك أكثر من اهتمامه بهذا الأعمى ا لمسلم.

4-إنذار هذا الشخص ألا يفعل ذلك مرة أخرى.

5-هذا الموقف مكتوب في اللوح المحفوظ أي أنه ذنب لم يغفر بعد وتنتهي السورة الكريمة بقول إلهي مخيف: (قتل الإنسان ما أكفره).

أخي القارئ هل تصدق أن هذا الشخص الذي يحمل هذه الصفات هو رسول الله رب العالمين!؟

حاشا لله فقد وصفه رب العالمين بقوله (وإنك لعلى خلق عظيم) سورة القلم 4.

وقال تعالى في سورة آل عمران 159، مخاطباً رسوله الكريم: (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك...)

وكان رسول الله يقول: إن الله يبغض المعبس في وجه إخوانه، فكيف يخالف ربه، ويناقض نفسه؟! وقبل أن نختم هذه المناقشة لا بد أن نسأل: هل كان هناك صعوبة على الرسول في أن يستقبل هذا الأعمى ويعتذر منه ويجلسه إلى جواره إلى أن ينتهي حديثه مع ذلك المشرك!؟ إن أي شخص يفعل ذلك،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

فكيف بالرسول الأعظم وهو منارة الأخلاق والقيم؟ لهذا نقول: إن هذه السورة الكريمة: إما أنها متشابهة وليست محكمة. وإما أن نأخذ برواية أهل البيت والتي تقول إن (عبس وتولى) نزلت في حق عثمان بن عفان.

والنتيجة أن العصمة قائمة وراسخة، وأنه لا انفصال بين الدين والدنيا.

أما الحديثان اللذان سبقت الإشارة إليهما فهما يتناقضان مع النصوص القرآنية الواضحة، كما يتناقضان مع قول رسول الله عن نفسه: أنا مدينة العلم. . وهما، إن صحا، فهما حديثان متشابهان لأن أقوال الرسول فيها أيضاً: المحكم والمتشابه.

وبناءً على ما تقدم، فإنه لا يمكن قبول علم يؤسس على آيات أو أحاديث متشابهة. ولزيادة الإيضاح حول موضوع العصمة المطلقة للرسول نقرأ الآية الكريمة قال تعالى في سورة الأحزاب 33: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً).

ولا نظن أن أي مسلم مؤمن يجهل أن أهل البيت تحديداً هم: علي وفاطمة الزهراء والحسن والحسين سلام الله عليهم، وعندما نزلت هذه الآية الكريمة جمعهم رسول الله وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. [1]

فإذا كان أهل البيت مطهرين فمن باب أولى أن يكون الرسول، وهو على رأس أهل البيت مطهراً، والتطهير، هو: أن يخلو المطهر من كل دنس، ومثل هذه الطهارة لا تحصل إلا لمن كان معصوماً، لأن التطهير لا يكون إلا كاملاً، ولا تجوز فيه النسبية.

[1] (الحاكم في المستدرك على الصحيحين ج2 ص451 –البيهقي في السنين الكبرى ج2 (ص) 152 –سنن. الترمذي ج5 ص 621

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

وهناك أيضاً مسائل أخرى: قال تعالى في سورة الأحزاب 56: (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً).

ترى ماذا تعني صلاة الله على رسوله؟

نقول: إنها المدد النوراني العرفاني الذي يمد الله بهما رسوله الكريم، وبهذا المدد يرى الرسول الأشياء على حقيقتها، وهنا لا يمكن له أن يقع في أي خطيئة، مهما كانت كبيرة أو صغيرة، وهو بذلك أعلم خلق الله في كل شيء، لأن معارفه مستمدة من الله تعالى بشكل مستمر، والخطأ مرفوض قولاً واحداً، وبالتالي فإن ذلك يؤدي حتماً إلى أنه صلوات الله عليه وآله كان معصوماً عصمة عامة مطلقة[1].

وقال تعالى في سورة النجم: (... وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى).

ما هو الهوى؟

في لسان العرب: الهوى: هوى نفس، والهوى: العشق، هوى النفس: إرادتها. قال عز وجل: (ونهى النفس عن الهوى): نهاها عن شهواتها وما تدعو إليه من معاصي الله. ونسأل باستنكار: هل لمثل هذا الهوى أن يعتلج في صدر الرسول؟!.

وعندما يقول الله سبحانه وتعالى عن الرسول (ε): (وما ينطق عن الهوى) فهذا يعني أن هناك بعض المسلمين قد اتهموا الرسول بالهوى، ومن المنطق أن يكون هذا الهوى، كما رآه البعض، في أمور حسبوها ذات طابع شخصي، وهي ليست كذلك، لان الرسول (ε) لا يمكن أن ينطق إلا بالحق، وفي كل شيء، لأن الهوى يرتبط عند الناس العاديين بالشهوات والمصالح والميول الخاصة وغيرها، وفي اعتقادنا، أن رسول

[1] راجع كتابنا الكنوز المخفية في بحوث إسلامية-طبيعة الرسل)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الله (ε) لا يمكن أن تكون عنده نزوات شخصية تبعده عن الصواب، فكل ما يقوله هو: حق وصدق ووحي إلهي، وبالتالي فالسورة تؤكد العصمة وأما ما ورد في القرآن الكريم عن أخطاء بعض الرسل وتهديدهم بالعقاب فيجب أن ننظر إليه من زاويتين الأولى: المحكم والمتشابه ومعرفة التأويل الصحيح. والثانية: من زاوية تعليم الناس وإفهامهم حدود الشريعة. فإذا كان هناك على سبيل المثال ملك عظيم وعنده وزير يثق به ثقة كبيرة، ثم يقول له أمام جمع من الناس: إنك أيها الوزير إذا فعلت كذا وكذا فسوف أعاقبك فإن ذلك لا يعني أن هذا الوزير سيقترف هذه الأخطاء، ويكون القصد هو تهديد للآخرين بضرورة الالتزام بأوامر هذا الملك وإذا افترضنا أن هذا الملك-وهو افتراض طبيعي-سيختار وزيراً صالحاً لملكه، فهل يمكن لرب العالمين أن يختار نبياً مؤتمناً على رسالته بشكل كلي وهو يحمل في نفسه نزوات شخصية، تبعده قليلاً أو كثيراً عما أرسله الله من اجله؟! فالله سبحانه وتعالى أدرى بمن خلق وبمن أرسل.

وإذا كان رسول الله (ε) قد قال لفاطمة الزهراء عليها السلام: لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها... فهذا لا يعني أبداً أن فاطمة الزهراء يمكن أن تسرق ولكن ذلك يعني أن كل من يسرق صغيراً كان أو كبيراً فسوف تقطع يده. وعلى هذا المنوال نفهم تلك الآيات المتوعدة.

وأخيراً لابد من المرور ولو بشكل عابر على مسألة أخرى نرى أنها ترتبط بموضوع العصمة، وهي كون النبي أمياً أم غير أمي؟

إن رأي الفريق الأول يقول: إن رسول الله (ε) كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وأما الفريق الثاني فيقول: إن رسول الله (ε) كان يقرأ ويكتب. وقد أثبتنا هذا الرأي مع الشواهد في كتابنا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الآنف الذكر... ونلخص الموضوع بجملة بسيطة مختصرة مفيدة، وهي: أن رسول الله (ε) كان أمياً أي منسوباً إلى أم القرى وهي مكة.

ونحن نعتقد أن عصمة الرسول (ε) لا تكون كاملة إذا كان لا يقرأ ولا يكتب، والرسول أكبر من ذلك بما لا يقاس، ولهذا أفردنا في كتابنا السابق موضوعاً خاصاً أسميناه طبيعة الرسل.

ونلخص رأي الفريقين ونضعهما أمام القارئ

الفريق الأول: يرى أن الرسول (ε) معصوم في الوحي فقط، وهو معرّض للخطأ في اجتهاده في أمور الدنيا... أي: أنهم يفصلون أمور الدين عن الدنيا من حيث العصمة. . ويعتقدون أن الرسول (ε) كان لا يقرأ ولا يكتب. . ونستنتج من هذا الرأي أنه يمكن أن يحل محل الرسول أي شخص آخر، ما دامت العصمة في الوحي فقط... وأما في الأمور الحياتية العادية، فالرسول كغيره من الناس، يمكن أن يخطئ في أمر ما ولا يخطئ فيه رجل آخر...

الفريق الثاني: يرى أن الرسول (ε) معصوم عصمة مطلقة، وهو يرى بنور الله ولا مجال للوقوع في أي خطأ. وبناء على ما تقدم، فقد برزت لدينا أمور لا تخلو من الخطورة، فإذا كان أحد الفريقين يرى أن بعض الآيات هي آيات محكمات، فقد رآها الفريق الآخر غير ذلك. .

وهذا كله أدى إلى أن كل فريق أقام بناءً إسلامياً مختلفاً، قليلاً أو كثيراً، عن الآخر... ناهيك عن اختلافهم في موضوع التأويل والتفسير والناسخ والمنسوخ.

وأمّا الرابط بينهما فهو رداء الإسلام أي الأركان الخمسة، وسوف نرى فيما بعد البون الشاسع بين الإسلام وبين الإيمان.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وأخيراً لابد أن نضيف إلى هذا البحث مسألة جوهرية لا تنفصل عن العصمة، وهي المعجزات، ففي حين أن الفريق الأول يروي عن الرسول (ε) عدداً محدوداً جداً من معجزات الرسول فإن الفريق الثاني يجعلها بالعشرات.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الخلافة والإمامة

كما اختلف المسلمون في موضوع العصمة، وما نتج عنها، فكذلك اختلفوا في مسألة الخلافة والإمامة، وسوف نكتفي بعرض وجهتي نظر الفريق الأول والثاني فقط وإن كنا نعرف ونقر بوجود عدة وجهات نظر أخرى وهذا من حق أصحابها.

وسنبدأ هذه المسألة بعرض وجهة نظر الفريق الأول.

وقد أخذنا من كتاب (مآثر الإنافة في معالم الخلافة) للقلقشندي المتوفي سنة 821 هجرية ضالتنا المنشودة [1].

يقول القلقشندي في مقدمة كتابه: أمّا الخلافة فهي في الأصل مصدر خلف، يقول خلفه في قومه أي يخلفه ومنه قوله تعالى:

(وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي) ثم أطلقت في العرف العام على الزعامة العظمى، وهي الولاية العامة على كافة الأمة والقيام بأمورها والنهوض بأعبائها.

وأما من يطلق عليه اسم الخليفة، فقد ذهب جماعة من أئمة السلف منهم أحمد بن حنبل، رحمه الله، إلى كراهة إطلاق اسم الخليفة على من بعد الحسن بن علي رضي الله عنهما فيما حكاه النحاس وغيره، محتجين بما رواه أبو داود من حديث سفينة مولى رسول الله (ε) أن رسول الله (ε) قال: (الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك) قال سعيد بن جهمان: ثم قال لي

[1] – والإنافة هي المشية الحسنة والسيرة العطرة، اختار النصوص وعلق عليها شوقي أبوخليل_ مطابع وزارة الثقافة_ دمشق 1985.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

سفينة: امسك خلافة أبي بكر، وخلافة عمر، وخلافة عثمان، ثم قال امسك خلافة علي، وخلافة الحسن، فوجدناها ثلاثين سنة [1].

وجاء أيضاً في المقدمة عن البغوي، وهو الحسين بن مسعود بن محمد، ويلقب بمحيي السنة، والمتوفي سنة (510) هـ قوله عن تسمية الخليفة بهذا الاسم: (إنه يسمى خليفة وإن كان مخالفاً لسيرة أهل العدل). وأجاز البغوي أن يسمى آدم وداوود باسم خليفة الله محتجاً بقوله تعالى في حق آدم (إني جاعل في الأرض خليفة) البقرة 30.

ويقول في حق داوود (يا داوود إنّا جعلناك خليفة في الأرض) سورة ص 26.

وقال: ولا يسمى أحد خليفة الله بعدهما. لكن الزمخشري أجاز في تفسيره ذلك في سائر الأنبياء عليهم السلام.

وأما من تكون عنه الخلافة، فللعلماء فيه ثلاثة مذاهب: المذهب الأول أن تكون الخلافة عن الله تعالى، فيقال في الخليفة: خليفة الله، وهو ما حكاه الماوردي في (الأحكام السلطانية) عن بعضهم لقيامه بحقوقه تعالى في خلقه احتجاجاً بقوله تعالى (وهو الذي جعلكم خلائف في الأرض) سورة الأنعام 165.

وقد أجاز البغوي _ كما رأينا _ أن يسمى كل من آدم وداود باسم خليفة الله ولا تجوز لغيرهما.

المذهب الثاني: أن الخلافة تكون عن رسول الله (ε) فيقال فيه: خليفة رسول الله (ε) لأنه خلفه في أمته، وعليه ينطبق كلام الماوردي في (الأحكام السلطانية)، والنحاس في (صناعة

[1] –سنن الترمذي ج9 (ص) 71 وسنن أبي داود ج2 (ص) 171.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الكتاب)، وعلى ذلك خوطب أبو بكر (ر. ض) بخليفة رسول الله(ε)، وعلى ذلك ينطبق كلام البغوي في (شرح السنة)، حيث قال: الخليفة وخليفة رسول الله (ε) وتبعه النووي على ذلك في (الروضة).

المذهب الثالث: أن الخلافة قد تكون عن الخليفة قبل ذلك الخليفة فيقال: فلان خليفة فلان واحداً بعد واحد. (من مقدمة الكتاب حتى (ص 37) وجاء في الكتاب (ص 40-41-46): وأمّا ما يقع على الخليفة من ألقاب، فأربعة: اللقب الأول: عبد الله، واللقب الثاني: الإمام، وهو من الألقاب المستجدة للخليفة في أثناء الدولة العباسية في العراق، اللقب الثالث: لقب الخلافة الخاص بها كالمنصور والهادي والرشيد والمأمون والمعتصم والمتوكل على الله. اللقب الرابع: أمير المؤمنين.

أما عن الإمامة، فجاء في الكتاب (ص 51-52-53). الفصل الأول: في وجوب عقد الإمامة لمن يقوم بها. . قال الماوردي: وعقدها لمن يقوم بها واجب بالإجماع، وقد اختلف في أصل وجوبها، فذهب قوم إلى أن وجوبها ثابت بالعقل لما في طباع العقلاء من التسليم لزعيم يمنعهم من التظالم ويفصل بينهم. وقال الماوردي: ولا خلاف بين أهل العلم أنها فرض كفاية كالجهاد ونحوه، إذا قام بها من هو أهل لها سقط فرضها عن كافة الناس، وإن لم يقم بها أحد أثم من الناس فريقان: أحدهما: أهل الحل والعقد حتى يختاروا للأمة إماماً يقوم بأمرهم، والثاني: أهل الإمامة، حتى ينتصب للإمامة أحدهم. ويتحدث المؤلف عن شروط الإمامة في الفصل الثاني فيقول: وقد اعتبر أصحابنا الشافعية رضي الله عنهم لصحة عقدها أربعة عشر شرطاً في الإمام.

الأول: الذكورة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الثاني: البلوغ فلا تنعقد إمامة صبي.

الثالث: العقل فلا تنعقد إمامة ذاهب العقل.

الرابع: البصر فلا تنعقد إمامة الأعمى.

الخامس: السمع فلا تنعقد إمامة الأصم.

السادس: النطق فلا تنعقد إمامة الأخرس.

السابع: سلامة الأعضاء من نقص يمنع استيفاء الحركة.

الثامن: الحرية فلا تنعقد إمامة من فيه رق.

التاسع: الإسلام.

العاشر: العدالة فلا تنعقد إمامة الفاسق، وهو المتابع لشهوته المؤثر لهواه.

الحادي عشر: الشجاعة والنجدة فلا تنعقد إمامة الجبان.

الثاني عشر: العلم المؤدي إلى الاجتهاد في النوازل والأحكام فلا تنعقد إمامة غير العالم.

الثالث عشر: صحة الرأي والتدين فلا تنعقد إمامة ضعيف الرأي.

الرابع عشر: النسب فلا تنعقد الإمامة بدونه. والمراد أن يكون من قريش وهم بنو النضر بن كنانة. ففي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله (ε) قال: لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان. وقد احتج الصديق (ر. ض) على الأنصار يوم السقيفة حين اجتمعوا على سعد بن عبادة، وقالوا: منا أمير ومنكم أمير، بقول النبي (ε): الأئمة من قريش، فرجعوا إليه في ذلك وأذعنوا لقوله. وقد ادعى الماوردي الإجماع على اعتبار هذا الشرط مع ورود النص به.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وفي الصفحة (60) قال الرافعي: ولا يشترط في الإمام كونه هاشمياً لأن أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ليسوا من بني هاشم. ويضيف الكاتب من الصفحة 62 وحتى الصفحة 66 قائلاً: واعلم أن لصحة عقد البيعة خمسة شروط:

الأول: أن يجتمع في المأخوذ له البيعة شروط الإمامة.

الثاني: أن يكون المتولي لعقد البيعة أهل الحل والعقد من العلماء والرؤساء وسائر وجوه الناس.

وفيمن تنعقد به البيعة منهم سبعة مذاهب: أحدها أنها لا تنعقد إلا بأهل الحل والعقد من كل بلد ليكون الرضى عاماً والتسليم لإمامته إجماعاً.

قال الماوردي في (الأحكام السلطانية (ص 4): وهذا مذهب مدفوع ببيعة أبي بكر (ر. ض) باختيار من حضرها من غير انتظار الغائب عنها.

والثاني: أن أقل من تنعقد به أربعون لا دونهم.

والثالث: أقل من تنعقد به خمسة يجتمعون على عقدها أويعقدها أحدهم برضى الأربعة لأن بيعة أبي بكر (ر. ض) انعقدت بخمسة وهم عمر بن الخطاب وأبو عبيدة الجراح وأسيد بن حضير وبشير بن سعد وسالم مولى أبي حذيفة ثم تابعهم الناس على ذلك. وقد جعلها عمر (ر. ض) شورى في ستة نفر تنعقد لأحدهم برضى الخمسة.

قال الماوردي: وهذا قول أكثر الفقهاء والمتكلمين من أهل البصرة.

والرابع: تنعقد بأربعة لأن الشهادة في الزنا تقوم بأربعة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والخامس: تنعقد بثلاثة يتولاها أحدهم برضى الاثنين الآخرين ليكونوا حاكماً وشاهدين كما يصح عقد بولي وشاهدين.

والسادس: تنعقد باثنين لأن رتبة الخلافة لا تنقص عن رتبة الحكومات، والحاكم لا يلزم أحد الخصمين حق صاحبه إلا بشهادة عدلين، فكذلك لا يلزم الناس الانقياد لقول الإمام إلا بعدلين.

والسابع: تنحصر بواحد لما روي أن العباس (ر. ض) قال لعلي كرم الله وجهه: امدد يدك أبايعك فيقول الناس عم رسول الله (ε) بايع ابن أخيه فلا يختلف فيه اثنان. وقد قيل إن بيعة الصديق (ر. ض) انعقدت ببيعة عمر ولأنه حكم وحكم الواحد نافذ.

والثامن: وهو الأصح عند أصحابنا الشافعية رضي الله عنهم أنها تنعقد بمن تيسر حضوره وقت المبايعة من العلماء والرؤساء وسائر وجوه الناس المتصفين بصفات الشهود.

الشرط الثالث لصحة البيعة: أن يجيب المبايع إلى البيعة فإذا امتنع لم تنعقد إمامته ولم يجبر عليها. قال النووي في الروضة: إلا أن يكون من لا يصلح للإمامة إلا واحد فيجبر بلا خلاف.

الشرط الرابع: الإشهاد على المبايعة فيما إذا كان العاقد واحداً اما إذا كان العاقد جميعاً فإنه لا يشترط الإشهاد.

الشرط الخامس: أن يتعهد المعقود له بأن لا تعقد البيعة لأكثر من واحد واحتج بما رواه مسلم في صحيحه ج12 ص242 من حديث أبي سعيد رضي الله عنه، أن رسول الله (ε) قال: إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما، وفي رواية مسلم أيضاً من حديث عرفجة ابن شريح قال: سمعت رسول

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الله (ε) يقول: من أتاكم وأَمْرُكم جميع على رجل واحد، يريد أن يشق عصاكم أويفرق جماعتكم، فاقتلوه.

وفي الصفحة 69 يعدد من الطرق التي تنعقد بها الإمامة:

العهد: وهو أن يعهد الخليفة المستقر إلى غيره ممن استجمع شرائط الخلافة بعده، فإذا مات العاهد انتقلت الخلافة بعد موته إلى المعهود إليه، ولا يحتاج مع ذلك إلى تجديد بيعة من أهل الحل والعقد. ولذلك حالتان:

الأولى: أن يعهد المعهود إليه بأن يعهد بالخلافة بعده إلى واحد فقط، كما فعل أبو بكر عندما عين عمر بن الخطاب خليفة بعده.

الحالة الثانية: (ص 74) أن يتعهد المعهود إليه بأن يكون اثنين فأكثر من أهل الإمامة، وهو على ضربين:

الضرب الأول: أن يجعلها الخليفة شورى بينهم، فيختار أهل الحل والعقد بعد موت العاهد واحداً من المعهود إليهم، كما فعل عمر بن الخطاب عندما عين للخلافة ستة أشخاص ليختاروا واحداً منهم.

الضرب الثاني: (ص 76) أن يعهد إلى اثنين فأكثر ويرتب الخلافة فيهم بأن يقول: الخليفة بعدي فلان، فإذا مات فالخليفة بعده فلان، فتنتقل الخلافة بعده على الترتيب الذي رتبه. . واحتج لذلك بما ثبت في صحيح البخاري من رواية ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله (ε) أمّر على جيش مؤته زيد بن حارثة وقال: إن قتل فجعفر ابن أبي طالب، فإن قتل فعبد الله بن رواحة، وفي رواية: فإن قتل فليرتض المسلمون رجلاً، فتقدم زيد فقتل، فأخذ الراية جعفر وتقدم فقتل، فأخذ الراية عبد الله بن رواحة وتقدم فقتل، فاختار المسلمون بعده خالد بن الوليد.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قال الماوردي في (الأحكام السلطانية ص40): وإذا فعل النبي (ص) ذلك في الإمارة، جاز مثله في الخلافة، قال: وقد عمل بذلك في الدولتين (يقصد الأموية والعباسية) من لم ينكر عليه أحد من علماء عصره. أي أن ولاية العهد تعطى لأكثر من واحد.

وفي الصفحة 79: من الطرق التي تنعقد بها الإمامة: القهر والاستيلاء، فإذا مات الخليفة، فتصدى للإمامة من جميع شرائطها من غير عهد إليه من الخليفة المتقدم ولا بيعة من أهل الحل والعقد، انعقدت إمامته لينتظم شمل الأمة وتتفق كلمتهم، وإن لم يكن جامعاً لشرائط الخلافة بأن كان فاسقاً أو جاهلاً، فوجهان لأصحابنا الشافعية:

أصحهما انعقاد إمامته أيضاً لأننا لو قلنا لا تنعقد إمامته لم تنعقد أحكامه، ويلزم ذلك الإضرار بالناس. والثاني: لا تنعقد إمامته لأنه لا تنعقد له الإمامة بالبيعة إلا باستكمال الشروط فكذا بالقهر.

وفي الفصل الخامس (ص 84) يتحدث القلقشندي عن طاعة الرعية للخليفة ويستشهد بالآية الكريمة في سورة النساء: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)59 وهذه الطاعة، كما يقول، لأولي الأمر مطلوبة سواء كان الوالي عادلاً أم جائراً، لأن الإمام هو أعظم ولاة الأمور.

ومن رواية عبد الله بن عمر أن رسول الله (ε) قال: على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب أو كره إلا أن يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة. (صحيح البخاري ج9 ص63 وصحيح مسلم ج12 ص226) ومن رواية ابن حجر قال: سأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله (ε) قال: يا نبي الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألوننا حقهم ويمنعوننا حقنا فما تأمرنا؟

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

فأعرض عنه. ثم سأله فأعرض عنه ثم سأله في الثالثة فجذبه الأشعث بن قيس وقال: اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حُمّلوا وعليكم ما حمّلتم. (صحيح مسلم ج12 ص236 وسنن الترمذي ج5 ص51 و52).

هذه هي باختصار ووضوح وجهة نظر الفريق الأول في الخلافة والإمامة. وسوف نتعرض لأهم النقاط الواردة في هذه النصوص:

أولاً: هناك الحديث الذي رواه سفينة مولى رسول الله (ε)، أن الرسول قال: (الخلافة في أمتي ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك).

وكانت مدة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن ثلاثين سنة، كما قال رسول الله (ε) بالتمام والكمال.

وفي مقابل هذا الحديث روى مسلم من حديث عامر بن سعد بن أبي وقاص، قال: كتبت إلى جابر بن سمرة مع غلامي نافع: أخبرني بشيء سمعته من رسول الله(ε)، فكتب إليّ: سمعت من رسول الله (ε) يوم جمعة، عشية رجم الأسلمي قال: لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش.

ومن مسند الإمام أحمد عن مسروق قال: كنا مع عبد الله بن مسعود جلوساً في المسجد يقرينا، فأتاه رجل، فقال: يا بن مسعود هل حدثكم نبيكم كم يكون من بعده خليفة؟ قال: نعم كعدة نقباء بني إسرائيل.

إذاً لدينا حديثان متناقضان في ظاهر الأمر. . وبما أن الرواة باعتقادنا من الثقات، فإن المخرج الوحيد العقلاني والمرتبط بالواقع التاريخي لما حدث، هو: أن الحديث الذي يقول عن الخلفاء بعد رسول الله (ε) اثنا عشر، هو الأمر الذي

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أوصى به الرسول، وهو أمر إلهي، ولكنه لم ينفذ، ولو نفّذ لظل الدين قائماً حتى تقوم الساعة، ولما قال رسول الله (ε) يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال، قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان أنس.

(صحيح مسلم ج6 ص20 باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن) وهذا الحديث ينطبق على الجزء الثاني من حديث رسول (ε) الذي يقول: (الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك) أي: تتحول الخلافة التي مدتها ثلاثون سنة إلى ملكية وراثية. . وبناء على ما ذكرناه، فإن هذا الحديث يعني، أن الرسول (ε) قد أخبر المسلمين عمّا أمر به الله ورسوله من أن الخلفاء هم اثنا عشر بعد رسول الله ولكنه لم ينفذ.

وإذا عدنا إلى الواقع سنجد أن الخلفاء (أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن) قد حكموا ثلاثين سنة بعد الرسول (ε) أي: من السنة الحادية عشرة للهجرة حتى السنة الحادية والأربعين للهجرة، وبعد ذلك يبدأ الحكم الأموي الذي كان ظاهره الخلافة، وحقيقته الملكية المقنعة بلباس الخلافة، والتي استمرت حتى نهاية الخلافة العثمانية، وما بعدها أيضاً في عدد من الدول، وهذا هو معنى قول الرسول(ε): ثم ملك بعد ذلك.

والملكية في الإسلام ليست واردة،

قال تعالى في سورة النمل على لسان بلقيس 34: (قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون).

ويبدو أن كثيراً من المسلمين يعتقدون أن بلقيس كانت ملكة...

نقول كيف تكون ملكة وهي تذم الملوك؟ قال تعالى في سورة النمل على لسان الهدهد (إني وجدت امرأة تملكهم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم) 23. ومعنى تملكهم: تتولى شؤونهم ولا تعني هذه اللفظة أن بلقيس كانت ملكة. . وأما كلمة العرش فيمكن أن تقال للخليفة وللملك وللأمير وللزعيم...

وعندما جاء العباس عم الرسول (ε) بأبي سفيان من أجل أن يشفع له عند النبي (ε)، وحين رأى المسلمين قال: هنيئاً لك فقد أصبح لابن أخيك ملك عظيم وردّ العباس: إنها النبوة وليس الملك. وهذا يعني أن الملكية التي قصدها الرسول (ε) في حديثه السابق هي ملكية مذمومة ونقدم للقارئ بعض المعلومات عن مؤسسي الدولة الأموية وهما معاوية بن أبي سفيان ومروان بن الحكم لنؤكد هذا الفساد المرتبط بالملكية وهو ما قصده الرسول (ε) في حديثه السابق (يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي...) الحديث.

ويتطابق أيضاً مع قوله: (... ثم ملك بعد ذلك).

قال الإمام علي عليه السلام عن معاوية وأصحابه: فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أسلموا، ولكن استسلموا، وأسروا الكفر، فلما وجدوا أعواناً عليه أظهروه (نهج البلاغة الجزء الرابع. شرح ابن ميثم البحراني). وقال أيضاً (. . ألا وإن معاوية قاد لُمّة من الغواة وعمس عليهم الخبر حتى جعلوا نحورهم أغراض المنية. (نهج البلاغة الجزء الثاني شرح ابن ميثم البحراني).

وجاء في أحد كتب الإمام علي عليه السلام الموجهة إلى معاوية (. . واعلم أنك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة ولا تعرض فيهم الشورى (نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد) وجاء في كتاب الفتنة الكبرى لطه حسين (ص226-227): أن الحسن البصري كان يقول فيما رواه الطبري: أربع خصال كنّ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

في معاوية لو لم يكن فيه منهن إلا واحدة لكانت موبقة: انتزاؤه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزها أمرها بغير مشورة منهم، وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضل، واستخلافه ابنه بعده سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، وادعاؤه زياداً وقد قال رسول الله(ε): الولد للفراش، وللعاهر الحجر، وقتله حجر، ويل له من أصحاب حجر (ثلاث مرات).

ويقول طه حسين في كتابه السابق (ص 249) عن بداية الفترة الأموية: وبعد أن سفك فيها ما سفك من الدماء، وأزهق فيها ما أزهق من النفوس، وقضي فيها على سنة الخلافة الراشدية، وفُرِّقَ فيها المسلمون شيعاً وأحزاباً، وأُسّسَ فيها ملك عنيف، لا يقوم على الدين وإنما يقوم على السياسة والمنفعة. وقال ابن الأثير الجزري في أُسد الغابة: الحكم بن العاص بن أمية أبو مروان بن الحكم أسلم يوم فتح مكة، وروى بإسناده إلى نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه، قال: كنا مع النبي (ε) فمر الحكم بن أبي العاص فقال النبي (ε): ويل لأمتي مما في صلب هذا. والحكم هو الذي كان يقلد الرسول (ε) في مشيته فنفاه إلى اليمن، قائلاً له: أخرج من المدينة فلا جاورتني فيها حياً ولا ميتاً، وطرده وابنه مروان، وكان صغيراً، وقد ظلا منفيين حتى خلافة عثمان.

وقال الإمام علي عليه السلام لمن جاءه في حرب الجمل يخبره أن مروان بن الحكم قد قتل: والله ما مات ولن يموت حتى تخرج من صلبه طواغيت تحكم هذه الأمة. وقالت عائشة لمروان بن الحكم: أمّا أنت يا مروان فأشهد أن رسول الله (ε) لعن أباك وأنت في صلبه. وقال رسول الله (ε): ما اختلفت أمة بعد نبيّها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها. (الجامع الصغير للسيوطي)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ثانياً: جاء عن البغوي، قوله عن تسمية الخليفة: (إنه يسمى خليفة، وإن كان مخالفاً لسيرة أهل العدل). كما أجاز أيضاً: أن يسمى آدم وداود باسم خليفة الله، وأضاف: ولا يسمى أحد خليفة الله بعدهما... لماذا؟ سنرد على هذا بعد قليل. أما الزمخشري فقد أجاز أن يسمى كل الأنبياء عليهم السلام بهذا الاسم.

إذاً كل من يستلم السلطة فهو خليفة سواء كان عادلاً أو ظالماً، منتخباً أو جاء عن طريق القوة والقهر، وهذا اعتراف ضمني من البغوي وكل من شاطره هذا الرأي، حتى عصر القلقشندي وما بعده (أصحاب الفريق الأول)، أن الخلفاء بعد الرسول (ε)، وتحديداً منذ بداية العهد الأموي، كان فيهم العادل والظالم والمستقيم والمنحرف والفاسق والتقي. أي كما قال الرسول(ε): يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان أنس (صحيح مسلم ج6 ص20).

ومن خلال النص القرآني، فإن الإمامة والخلافة بالنسبة للأنبياء، هي أمر إلهي، وهنا لا مجال للخطأ من أي نوع، والعدل متحقق. . وهنا نسأل: هل كانت الخلافة بعد الرسول ص، نقصد ما حدث تاريخياً منذ السقيفة وحتى الآن، أمراً إلهياً؟ لا نظن أننا نختلف مع أحد بأن ما حدث بعد الرسول (ε) لم يكن أمراً إلهياً ولو كان كذلك لسقط العقاب عن كل ما ارتكبه الحكام والأمراء من جرائم، وبخاصة منذ بداية العهد الأموي وما بعده... إن نظرة فاحصة لهذا التاريخ تظهر لنا بوضوح مظاهر العنف وأساليب التعذيب ووسائل القتل وسفك الدماء، فها هو مؤسس الدولة الأموية يقول بعد أن تمت له الخلافة بالمكر والخديعة: إني والله ما أقاتلكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون. (نهج البلاغة شرح ابن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

أبي حديد ج3 ص16) وكان يقول: إن لله جنوداً من عسل: فقد مات الأشتر النخعي مسموماً ومات الحسن مسموماً، وحُرقت جثة محمد بن أبي بكر بعد وضعها داخل جلد حمار. . وقُتل حجر بن عدي وأصحابه الأجلاء ظلماً وعدواناً وبعضهم دُفن وهو حي. . وكذلك كان ولاة معاوية يفعلون.

أما مؤسس الدولة العباسية السفاح فيقول: (إن الله رد علينا حقنا وختم بنا كما افتتح بنا فاستعدوا فأنا السفاح المبيح والثائر المبير) كما ذكر ذلك ابن الأثير في كتابة الكامل في التاريخ.

وهذا يعني أن الله قد رد عليهم حقهم الذي كان الأمويون قد سلبوهم إياه (فلسفة واحدة)، فالله هو الذي أعطى الملك للأمويين ثم عاد فأعطاه أورده للعباسيين... وبدأ السفاح عهده بإعطاء أمره المشهور بإخراج جثث بني أمية من قبورهم وجلدهم وصلبهم...

تُرى ! هل تصح تسمية هؤلاء الحكام بالأسماء الدينية الخاصة بالأنبياء؟ مثل: الخليفة والإمام؟ وهل يجوز للمؤرخين والفقهاء أن يسموهم أمراء المؤمنين !؟ والحقيقة أنهم كانوا ملوكاً ابتداءً بمعاوية ومن جاء بعده بمعنى أن هذه الملكية ليست من الإسلام في شيء. وإذا كان الأمويون والعباسيون خلفاء على الورق، فإنهم كانوا ملوكاً على الأرض ... وفي القرن العشرين وبعد سقوط الخلافة العثمانية عادت الملكية بثوبها الواضح إلى الظهور وخلعت عباءة الخلافة، وهنا ظهر قول الرسول أشد وضوحاً ولم يترك مجالاً لأي تفسير آخر بأن ما سيكون بعد الخلافة الراشدية التي مدتها ثلاثون سنة، هو قوله: ثم ملك بعد ذلك. ومن الغريب أن البعض قد فهم من هذا وجوب قيام النظام الملكي! وكأن الرسول قد أوصى به! أما قول البغوي إن تسمية خليفة الله لا تجوز إلا لآدم وداود، فهو يدل على عدم فهمه للنصوص القرآنية: قال تعالى في سورة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

البقرة 136: (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون).

نرجو أخي القارئ أن تلاحظ الكلمة الأولى في الآية الكريمة وهي بصيغة الأمر (قولوا)، وإذاً نحن ملزمون بما بعدها إلزاماً قطعياً (لا نفرق بين أحد منهم)، وما ينطبق على رسول ينطبق على الآخر، ونقصد تحديداً أن جميع الرسل من معدن واحد، وبالتالي تصح تسمية كل واحد منهم خليفة الله.

ولكن قد يحتج البعض بهذه الآية الكريمة: قال الله تعالى في سورة البقرة 235 (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولوشاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد).

في هذه الآية الكريمة نقطتان نتوقف عندهما: النقطة الأولى وهي تفضيل بعض الأنبياء على بعضهم الآخر، وهذا التفضيل قد فهمه الكثيرون بشكل مغلوط، وبدت هذه الآية وكأنها متناقضة مع قوله تعالى: (لا نفرق بين أحد منهم) ولكن الحقيقة ليست كذلك: في الآية الأولى أمر إلهي إلى البشر (قولوا آمنا بالله) إلى قوله تعالى (لا نفرق بين أحد منهم). أما الآية الثانية فإن الله سبحانه وتعالى يقول: (فضلنا) وهذه (نا) ليست موجهة للبشر، بل هي خاصة بالله سبحانه وتعالى وهذا يعني أن التفضيل بين الرسل من جهة الله وليس من جهة البشر ولهذا لا تعارض الآيتين، ويبقى الأمر الإلهي كما هو، أي: (لا نفرق بين أحد منهم).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وأما التفضيل من جهة الله سبحانه وتعالى، فهو يعني أن الله قد أعطى آيات بينات لبعض الرسل ولم يعطها للبعض الآخر.

ولتتضح الفكرة نضرب المثال التالي:

هناك ملك عظيم ولديه عشرة وزراء على سبيل المثال، وهذا الملك قام بإعطاء صلاحيات وامتيازات إضافية لبعض وزرائه،... ولكن عندما تنتهي تلك المهام التي اقتضت الضرورة وجودها، يعود الجميع أمام الملك في مرتبة واحدة.

إذاً: التفضيل عند رب العالمين هو تكليف بعض الأنبياء بأمور تختلف قليلاً أو كثيراً عن بعضهم الآخر، وهذه البينات الإضافية يقدرها رب العالمين وحده، ولا دخل للبشر فيها.

ولهذا نقول مع الزمخشري إن كل واحد من الأنبياء عليهم السلام يصح أن يسمى خليفة الله.

وأما النقطة الثانية في الآية الكريمة السابقة، فهي تتعلق باقتتال أقوام الأنبياء من بعدهم، وهم في هذه الحالة من الاقتتال فريقان، كما تقول الآية: (فمنهم من آمن ومنهم من كفر). وهذا الاقتتال قد حدث بعد الرسول حرب الجمل وحرب صفين والنهروان... ومعارك كثيرة طوال العهدين الأموي والعباسي، وما بعدهما.

قال رسول الله: لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتوهم، قلنا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟ (أخرجه البخاري ومسلم وأحمد بن حنبل). وقال رسول الله فيما عرف بحديث الحوض: بينما أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني فقال: هلم فقلت إلى أين؟ فقال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا من بعدك على أدبارهم القهقرى فلا أرى يخلص منهم إلا مثل همل النعم.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

(صحيح البخاري ج4 ص94 وصحيح مسلم ج7 ص66).

وقال الله تعالى عن الرسول الكريم في سورة آل عمران 144: (...أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم. .).

إذاً الانقلاب بعد الرسول قد حدث فعلاً، وقال الإمام علي عليه السلام يصف حال المسلمين بعد الرسول: حتى إذا قبض الله رسوله صلى الله عليه وعلى آله، رجع قوم على الأعقاب، وغالتهم السبل، واتكلوا على الولائج، ووصلوا غير الرحم، وهجروا السبب الذي أمروا بمودته، ونقلوا البناء عن رص أساسه، فبنوه في غير موضعه، معادن كل خطيئة، وأبواب كل ضارب في غمرة، قد ماروا في الحيرة، وذهلوا في السكرة، على سنة من آل فرعون، من منقطع إلى الدنيا راكن، أو مفارق للدين مباين. (نهج البلاغة ج3 ص216-شرح ابن ميثم البحراني)

والنتيجة أن ما حدث بعد رسول الله كان ابتلاء وامتحاناً لهؤلاء الخلفاء، فمنهم من أصاب ومنهم من أخطأ. . وفي القرآن الكريم نجد ما يشير إلى هذه الحالة التي كان فيها قتال وسفك دماء، وهذا كله وكما قلنا: بعلم الله وليس بفرض منه.

قال الله تعالى في سورة الأنعام 165: (وهو الذي جعلكم خلائف في الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما أتاكم إن ربك سريع الحساب وإنه لغفور رحيم).

في هذه الآية عدد من الملاحظات:

1- خلائف في الأرض: إي تخلفون بعضكم بعضاً ومنكم من هوأرفع مقاماً من غيره.

2- إن الله جعلكم خلائف ليبلوكم، أي: ليختبركم في هذا السلطان الذي أتاكم. فهناك عقوبة لمن يخطئ ويسقط في الامتحان، وهناك المغفرة أيضاً، وهذا يعني وجود احتمالين:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الخطأ والصواب، ولا دليل على إقامة العدل، كما هو الحال عند الأنبياء، أي: عندما تكون الخلافة أمراً إلهياً.

وقال تعالى في سورة يونس 13-14:

(ولقد أهلكنا القرون لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون)

وقال الله تعالى في سورة فاطر39: (هو الذي جعلكم خلائف في الأرض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتاً ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خساراً).

والخلائف هنا أيضاً يمكن أن يكونوا على ضلال وهم واقعون في الامتحان وليست لهم أية صفة قدسية ويمكن أن يكونوا في أي مكان من هذا العالم.

وهنا لابد أن نسأل: هل ما حدث بعد الرسول (ε) ينطبق على الآيات التي تظهر فيها الخلافة أمراً إلهياً ملزماً للمسلمين والخليفة فيها ليس في موقع الامتحان لتحق العدل بوجود العصمة؟

أم أن ما حدث تنطبق عليه آيات الخلائف وفيها الخليفة تحت الامتحان وهو معرض للخطأ والصواب والتهديد وبالعقوبة؟.

لا نظن أننا سنختلف مع أحد بأن آيات الخلائف تنطبق على الواقع التاريخي الذي حدث بعد غياب الرسول، وأكدته أحاديثه السابقة.

ثالثاً: يتضح من مقدمة كتاب القلقشندي أن كلمة إمام من الألقاب المستجدة خلال الحكم العباسي في العراق، وهذا يعني أن كل الخلفاء الراشدين والأمويين لم يطلق عليهم تسمية إمام،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

بل أطلق عليهم كما يقول القلقشندي اسم: أمراء المؤمنين... نقول: إن كلمتي خليفة وإمام هما كلمتان دينيتان لا تطلقان إلا على المعصوم بدليل قرآني واضح: قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام (إني جاعلك للناس إماماً)

وقال تعالى في حق داوود عليه السلام: (يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض. .)

لكن الفقهاء من رجال السلطة أجازوا تسمية هؤلاء الحكام باسم الخلفاء، أو الأئمة، مع أنهم غير معصومين، وفيهم المسيء والمصيب، وعلى درجات، وهذا مخالف لقول الله سبحانه وتعالى، لأن التسمية خاصة بالأنبياء، أو بمن جاء فيه نص قرآني. ولم يكتف هؤلاء الفقهاء بهذا، بل أضافوا إلى الحكام اسم أمراء المؤمنين. . وحتى الفاسقين منهم، وقد ذكرنا قبل قليل حديث الرسول الذي يقول: يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي... ثم يتحدث الكاتب عن سبعة مذاهب لانعقاد البيعة (الخلافة)، ويتضح من خلال هذه المذاهب أنها قد فصلت تفصيلاً دقيقاً لما حدث بعد الرسول، وحتى عهد القلقشندي بمعنى أن ما حدث بعد الرسول هو النموذج الإسلامي الصحيح لاختيار الخلفاء، فقد رفض الماوردي ضرورة أن يجتمع أهل الحل والعقد من كل بلد لتكون البيعة إجماعاً، وقال: هذا مذهب مدفوع ببيعة أبي بكر باختيار من حضرها من غير انتظار قدوم الغائب عنها.

نقول: إن اجتماع أهل الحل والعقد من كل بلد لاختيار رئيس للدولة، هو قمة الشورى الإسلامية، لان هذا الاختيار يمثل عملياً كل الشعب. لكن الماوردي رفض هذا المبدأ الديمقراطي لأنه تعارض مع كيفية حصول خلافة أبي بكر وهي التي انعقدت وأصبحت نافذة برأي (خمسة أشخاص فقط). وهذا قول أكثر الفقهاء والمتكلمين من أهل البصرة كما

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قال الماوردي. وقد أجاز الفقهاء أيضاً العقد لأربعة لأن الشهادة في الزنا تقوم بأربعة، وليس هذا فحسب بل أجازوها بثلاثة ثم باثنين ثم بواحد.

ويستمر الكاتب ومعه أكثر فقهاء العصر بتأكيد أن ما حدث بعد الرسول صلى الله عليه وآله؛ هو النموذج الصحيح، وأصبح هو القاعدة: وهذا بطبيعة الحال؛ يدل على فلسفة معينة بدأها الخليفة عثمان بن عفان وتستند إلى القواعد التالية:

خلافة مؤبدة (تقليد خلافة الرسول ε).

لا مراجعة للحاكم ولا حساب أو عقاب إن أخطأ.

لا يجوز للرعية أن تنزع البيعة منه، أو تعزله؛ لأن

مبايعته أبدية ؛ لا يحق لأصحابها أن يسحبوها، لأنها بأمر الله. وهذه هي الفلسفة الجبرية.

وقد قام معاوية بتبني هذه الفلسفة وطورها حسب غاياته، ومطامعه الشخصية، ثم جاء العباسيون والتزموا بها، وملخصها: هو أن ما حصل بعد الرسول صلى الله عليه وسلم كان أمرا إلهياً أراده الله. ولكن لو كان الأمر كذلك لبطل العقاب، وكان السارق أو القاتل أو الزاني سيقول هذا بأمر الله، وهو كلام باطل، فهناك فرق كبير بين ما يحدث بأمر الله وبين ما يحدث بعلم الله، فما يحدث بأمر الله هو عمل صحيح بالمطلق، وليس فيه مجال للخطأ، وأما ما يحدث بعلم الله فهي أعمال يقع فيها الامتحان على البشر الذين يخطئون ويصيبون ويتعرضون للعقوبة... ومن هنا ؛ فإن كل الجرائم التي اقترفها الحكام والأمراء والولاة كانت تجري بعلم الله، وليس بأمره ؛ لأن الله لا يأمر إلا بالخير.

لقد كان رفض إبليس السجود لآدم بعلم الله، وليس بأمره، ولو شاء الله لسجد إبليس رغماً عنه، وهذا الاختيار الذي لجأ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

إليه إبليس (وهو رفض السجود) نجم عنه دخول النار يوم القيامة.

وسنضرب أمثلة على هذه الفلسفة: فقد دخل يزيد بن معاوية على أسرى أهل البيت بعد مجزرة كربلاء، وفيهم علي بن الحسين، وكان طفلاً صغيراً، فسأله عن اسمه، فأجابه، فقال له: ألم يقتل علي بن الحسين؟ فقال له: أنا علي بن الحسين الأصغر، ولي أخ هو الذي قتل واسمه أيضاً علي بن الحسين، وهو الأكبر. فقال يزيد: لقد قتله الله. أي أن يزيد قد قتله بأمر الله.

ومن قبل يزيد كان أبوه معاوية يرى: أن الذين قتلوا عمار بن ياسر هم الذين أخرجوه للحرب، وهذا ما يريده الله. وعلى هذا المبدأ فإن الذي قتل شهداء المسلمين في بدر وأحد وغيرهما، هو: رسول الله!

وهذه فلسفة باطلة لأنها تسوغ لكل مغامر أو محتال أن يصل إلى أعلى المراتب؛ بحجة أن الله أراد ذلك ومع الأسف لا تزال هذه الفلسفة قائمة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، فهناك الكثيرون ممن يتحولون خلال فترة قصيرة من حالة الفقر أو الحالة المادية العادية إلى رجال أغنياء، وهم يقولون عن أنفسهم؛ كما يقول الآخرون عنهم: إن الله قد أعطاهم، مع أن الجميع يعرفون أن هؤلاء لم يتركوا وسيلة ملتوية إلا اتبعوها لجمع الثروة.

إذاً: هناك خلافة بأمر الله لايجوز أن يقع أصحابها في الخطأ لأنهم معصومون، وليسوا واقعين في الامتحان والبلوى.

وهناك خلائف واقعون تحت الامتحان، وهم يخطئون ويعذبون، وليست لديهم العصمة وليسوا عدولاً... وكل ما يفعلون بعلم الله. وأما موضوع القياس في تعيين أكثر من ولي

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

عهد؛ نظراً لأن رسول الله قد عين ثلاثة قادة في غزوة مؤتة؛ فإذا استشهد الأول يأتي الثاني، وهكذا، وقال الماوردي: (وإذا فعل النبي ذلك في الإمارة جاز مثله في الخلافة).

نقول: إن هذا القياس يخدم الأمويين والعباسيين، ومن قلدهم.

أي: إنه يخدم أمور الدنيا، ويناقض أمور الدين في الشكل والمضمون:

فمن حيث الشكل: هو قياس باطل، والدين لا يؤخذ بالقياس، ومعلوم أن أول من أخذ بالقياس هو إبليس الذي رأى نفسه أفضل من آدم فهو من معدن النار وآدم من الطين، والنار أفضل من الطين. وحتى إذا أردنا أن نأخذ بمثل هذا القياس فسيكون هناك من يقول: إن أسامة بن زيد كان قائداً لجيش المسلمين في فترة مرض الرسول الأخيرة؛ فهو أولى بالخلافة والإمارة من غيره!

وأما من حيث المضمون فقد كان الكثيرون فاسقين ولا تنطبق عليهم شروط البيعة وهؤلاء أنفسهم قاموا بتعيين خلفاء أمثالهم أو كانوا أكثر سوءاً منهم وهذا ليس في صالح المسلمين.

إن ولاية العهد هي خروج على الإسلام لأنها متناقضة مع الشورى وتأخذ بالوراثة القسرية دون اعتبار للمقومات الدينية والعلمية والأخلاقية. . وهكذا كان معاوية الذي عين ابنه يزيد السكير ولياً للعهد، وهو الذي لا تنطبق عليه شروط الإمامة ولا شروط الخلافة ويذكر التاريخ أحداثاً مأساوية جرت كان سببها وجود أكثر من ولي للعهد، ناهيك عن الدسائس والمؤامرات والفتن.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وهكذا سن معاوية مسألة ولاية العهد وسار على نهجه الأمويون والعباسيون واستمر ذلك حتى الآن في بعض الدول العربية... وكان فقهاء السلطة داعمين ومؤيدين لأن ولاية العهد حسب زعمهم وقياسهم سنة نبوية أو تشبه السنة النبوية.

وهناك أمر آخر لا يقل غرابة ونشازاً فالإمامة بزعم بعض الفقهاء يمكن أن تنعقد عن طريق القهر والاستيلاء بالقوة. أي أن أسلوب العنف والقتل والاحتيال في استلام السلطة هو إحدى الطرق الواردة والمعترف بها. وقد احتج بعض الفقهاء بقول عبد الله بن عمر (نحن مع من غلب) وكذلك بقول أحمد بن حنبل: (إن الخلافة تثبت بالغلبة والقهر ولا تفتقر إلى العقد).

وليس هذا فحسب بل يدعي بعض الفقهاء بأن البيعة تنعقد بمن تيسر حضوره من العلماء والرؤساء. وهذا تأكيد آخر على حصر عدد الذين يشاركون في تنصيب الخليفة إلى الحد الأدنى وبذلك فقد كان الشرط الأول لانعقاد البيعة (الخلافة) حبرا على الورق، فقد رفض كل الفقهاء وجوب تنفيذه لأنه يتعارض مع كيفية وصول كل الخلفاء إلى السلطة... وهذا الشرط كان يقول: إن الخلافة لا تنعقد إلا بأهل الحل والعقد من كل بلد ليكون الرضى عاماً والتسليم إجماعاً... أي أن الفقهاء قد ساهموا بفاعلية في ضرب الشورى والديمقراطية ومهدوا لاستمرار ظهور الأنظمة الفردية القمعية...

رابعاً: طاعة أولي الأمر:

لقد بحثنا هذا الموضوع بالتفصيل في كتابنا (الكنوز المخفية في بحوث إسلامية) ولا نريد إعادته ولكننا نرغب في الإضافة. نقول: لو قبلنا الفهم الخاطئ لطاعة أولي الأمر هكذا بالمطلق فعند ذلك سيكون الفاسقون بعضاً من أولي الأمر... ولو طبقت البشرية هذا المبدأ لما كان هناك حق لأية ثورة تقوم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

ضد الظلم، وكان على الفلاحين المضطهدين من جلاديهم الإقطاعيين أن يستكينوا وينصاعوا لأن الله قد أمرهم أن يطيعوا رؤساءهم ولو كانوا فاسقين ظالمين... وكان أيضاً على الشعوب الأوروبية أن تقبل محاكم التفتيش وترضخ لظلمها وجبروتها... وهذا منطق لا يقره عاقل واحد... فكيف إذاً نلصقه برب العالمين وهوالعادل المطلق الذي لا يرضى الظلم لعباده **!؟**.

قال تعالى في سورة هود 113 (والخطاب للمسلمين):

(ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون).

في هذه الآية أمر إلهي وهو أن على المسلمين أن لا يسلموا قيادتهم إلى الظالمين ويتخذوهم أركاناً لأمور حياتهم لأنهم إذا فعلوا ذلك مستهم النار.

ونضيف: لو كان الأمر غير ذلك فكيف نفسر موقف أهل البيت (أهل التقى والعلم) طوال العهدين الأموي والعباسي وهو موقف معارض باللسان والسيف لكل الحكام الظالمين **؟!** وقد دفعوا حياتهم ثمناً لمواقفهم المبدئية كما فعل الحسين الشهيد عليه السلام في كربلاء.

وقال رسول الله: من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطيع فبقلبه وهذا أضعف الإيمان.

لقد أراد المفسرون عن سوء نية أن يعطوا هذا الحديث الصفة الفردية فقط مع أن الإصلاح الحقيقي في أي مجتمع لا يمكن أن يكون فعالاً إلا إذا كان جماعياً والعمل الجماعي من أجل الخير هو من صلب العقيدة الإسلامية (يد الله مع الجماعة).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

نعود إلى الحديث ونسأل: أليس ظلم الراعي لرعيته أمراً منكراً؟ بالتأكيد هو كذلك.

إذاً مطلوب من المسلم أن يغير هذا الظلم بيده أي باستخدام القوة، ومثل هذا التغيير لا يكون شخص واحد مسؤولاً عنه ولا بد من عمل جماعي مرتب ومدروس لتغيير هذا الواقع وهذا ما فعله سيدنا محمد (ε) فقد بدأ وحيداً وعندما كثر مؤيدوه قام بالتغيير باستخدام القوة.

ونستطيع أن نفهم الحديث من نهايته وتكون النتيجة واحدة:

1-سخط الرعية على الحاكم يبدأ في الصدور.

2-يتحول السخط إلى قول باللسان فيواجه الحاكم بكل سلبيات الحكم. وعندما لا تثمر الكلمة الصادقة تأتي المرحلة العليا وهي:

3-التغيير باليد أي بالقوة.

وهذا هو تماماً ما حدث أثناء الثورة على عثمان فقد بدأ الناس بالتململ بسبب تقريب الخليفة لأقربائه وإعطائهم الأموال الطائلة دون وجه حق. . ثم انتقل إلى الأصوات فواجه الناس الخليفة بما يرونه من مفاسد... وعندما لم ينفع الكلام؛ اندلعت الثورة وشارك فيها كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار. وأما حديث ابن عمر الذي يذكر فيه أن الرسول (ε) قال: على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب أو كره إلا أن يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة.

نقول: لقد مر في التاريخ الإسلامي كثير من الخلفاء والأمراء الظالمين، ولم نسمع أن أحداً منهم جمع الناس أو أصدر لهم أمراً جماعياً أو إفرادياً بارتكاب المعاصي... فلم يذكر التاريخ، مثلاً، أن الحجاج قال للناس: لا تصوموا أولا تصلوا أولا تحجوا، أو قال لهم: افعلوا المنكرات.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

إذاً فطاعة الحجاج واجب ديني ما دام لم يأمر الناس بمعصية، وهو الذي أزهق آلاف الأرواح ظلماً وبغياً، وكان يتقرب حسب زعمه إلى الله بقتل بعض الصحابة؛ لأنهم لا يرون رأيه !؟.

ومن الواضح أن هذا الحديث يتناقض مع الحديث السابق الذي يأمرنا الرسول (ε) فيه بتغيير المنكر، والمنكر هو كل ما فيه أذية للناس على الصعيد الفردي والجماعي. ويتعارض هذا الحديث أيضاً مع قوله تعالى في سورة هود (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا) وقد ذكرناها قبل قليل.

خامساً: قال الرافعي إنه لا يشترط في الإمام كونه هاشمياً؛ لأن الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم ليسوا من بني هاشم... ونحن نضع هذا القول للرافعي أمام قول آخر للإمام علي عليه السلام (إن الأئمة من قريش غُرسوا في هذه البطن من هاشم لا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاة من غيرهم.) (نهج البلاغة ج2 ص143 شرح محمد عبده) ونضعه أيضاً أمام قول الرسول (ε) عن أهل البيت: لا تتقدموهم فتهلكوا ولا تقصروا عنهم فتضلوا ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم.

(الصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي ص148-الدر المنثور للسيوطي ج2ص60-كتر العمال ج 1ص 168أسد الغابة في معرفة الصحابة ج3ص137). فمن نصدق بعد ذلك !؟.

إن حديث الرسول الذي يقول: الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك. هو الحديث الذي ينطبق واقعياً على الأحداث التاريخية بعد وفاة الرسول (ε)، وهو الذي سيفتح الباب فيما بعد لظهور الأنظمة الملكية في الإسلام؛ وكأنها سنة نبوية (قول) مع أن الحديث كان عما سيحدث في المستقبل، وليس

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

مديحاً لما سيكون من فتن وسفك دماء تحت ظلال الملكية. ومما يجدر ذكره أن هذا الحديث قد روي بشكل آخر: قال رسول الله (ε) الخلافة بعدي ثلاثون ثم يكون بعد ذلك ملكاً عضوضاً. (أخرجه أصحاب السنن بألفاظ مختلفة).

وإذا عدنا إلى لسان العرب لابن منظور سنجد المعاني التالية: ملك عضوض: شديد فيه عسف وعنف وفي الحديث: ثم يكون ملك عضوض، أي: يصيب الرعية فيه عسف وظلم؛ كأنهم يعضون عضاً. وفي رواية: ثم يكون ملك عُضوض، وهو جمع: عِض، وهو الخبيث الشرس.

وفي حديث أبي بكر(ر. ض) وسترون بعدي ملكاً عضوضاً.

وفي اللسان أيضاً: فرس عضوض: أي يعض وكلب عضوض وناقة عضوض. والعضوض من أسماء الدواهي.

وإذا أضفنا إلى ما تقدم أن الآيات القرآنية المتعلقة بالخلائف (ذكرناها قبل عدة صفحات)، هي التي انطبقت على الذين استلموا السلطة منذ بداية العهد الأموي، وما بعده، وكان ذلك بعلم الله، وليس بفرض منه؛ يتأكد لدينا أن ما حصل من أحداث كان ترجمة حقيقية لحديث الرسول (ε) السابق، وهو إخبار غيبي عن المستقبل والحديث كما هو واضح له مرحلتان:

المرحلة الأولى: وهي خلافة مدتها ثلاثون سنة. وهذا ما حصل فعلاً.

المرحلة الثانية: تبدأ في عام 41 للهجرة، وهي ملك عضوض وهذا معناه –حسب قول الرسول (ε): أنه لا يجوز أن نطلق اسم خليفة على كل حكام المرحلة الثانية وما بعدها.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

وكان هذا الرأي لجماعة من أئمة السلف، ومنهم أحمد بن حنبل. (كما ذكر ذلك القلقشندي في ص32)

وهذا كله يثبت بشكل قطعي لا لبس فيه، أن الحديث المتعلق بالخلفاء الاثني عشر، بعد الرسول ص، هو حديث لم ينفذه المسلمون، وكان هو-أي الحديث-الواجب إتباعه؛ لأنه أمر إلهي. وقبل نهاية هذا البحث لا بد وأن نشير إلى نقطتين هامتين، وهما:

1-إن أهم شروط الإمامة (الأربعة عشرة) لم تتوافر في الكثيرين من الحكام الأمويين والعباسيين.

2-إذا كان وجود الحاكم الظالم على رأس السلطة؛ هوأمر فرضته القوة والقهر، فهذا لا يعني أنه علينا قبول هذا الحاكم الظالم، واعتبار تسلطه الجائر على الشعب حالة مقبولة لتولي الخلافة، وأنها شكل من الأشكال الجائزة شرعاً للوصول إلى السلطة.

رأي الفريق الثاني في الخلافة والإمامة

يرى أصحاب هذا الرأي أن العودة للنص القرآني؛ هو المفصل والقول السديد. وقد تبين بعد التدقيق أن هناك سبع آيات قرآنية وردت فيها كلمة إمام، وهي:

1-قال تعالى في سورة الأحقاف12: (ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين).

2-قال تعالى في سورة الفرقان74: (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

3-قال تعالى في سورة الإسراء71: (يوم ندعو كل أناس بإمامهم فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرؤون كتابهم ولا يظلمون فتيلاً).

4-قال تعالى في سورة الحجر 79: (فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مبين).

5-قال تعالى في سورة هود17: (أ فمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة أولئك يؤمنون به).

6-قال تعالى في سورة البقرة 24: (وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً).

7-قال تعالى في سورة يس12: (وكل شيء أحصيناه في إمام مبين).

إن الاستنتاج الذي نصل إليه من خلال التدقيق في معاني هذه الآيات الكريمة؛ هو:

1-أن وجود إمام للمؤمنين؛ هو أمر واجب في الدنيا، ولا مناص منه، وبالتالي؛ فهو من صلب العقيدة الإسلامية.

2-كل رسول هو إمام؛ أي: أن موسى كان إماماً، وكذلك عيسى، ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين.

3-يوم القيامة هناك إمام، ويدعى كل الناس بإمامهم، وإذا كان الأمر كذلك في الآخرة، فمن باب أولى أن يكون هناك إمام في الدنيا.

4-ليس هناك من فرق بين قولنا: إن موسى عليه السلام كان إماماً، وبين قولنا: إن كتابه كان إماماً... وهكذا كان بقية الرسل.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ويتضح من خلال النص القرآني أن الخلافة تشمل الإمامة، ولكن الإمامة لا تشمل الخلافة.

قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام 24: (إني جاعلك للناس إماماً) البقرة.

والإمام ؛ هنا؛ ليس خليفة. قال تعالى في سورة ص26: (يا داوود إنّا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق. .)

هنا تتضمن الخلافة الإمامة...

إن النتيجة التي نحن بصددها والتي لا نختلف فيها مع أحد هي أن الرسول (ε) هو الخليفة والإمام في وقت واحد وأن العصمة والعدالة متحققتان خلال وجوده.

إن الفريق الأول يدعي: أن الرسول (ε) لم يعين أحداً خليفة بعده، وأن الناس قد اختاروا أبا بكر (ر ض).

ويبدو لنا أن هذا الفريق قد أخذ أو تجاهل بشكل انتقائي ما رآه مناسباً من الحديثين فقد استلهم من الحديث الأول فكرة عدالة كل الصحابة وبأيهم اقتدينا اهتدينا وتجاهل في الوقت ذاته كيف سيعد الخلفاء الاثني عشر ومن هم وأين ينتهي أخرهم.

أما الحديث الثاني فأخذ منه(الخلافة ثلاثون سنة) وفيها خمسة خلفاء ثم تجاهل التناقض بين عدد الخلفاء في الحديث الأول وبين عددهم في الحديث الثاني...

كما تجاهل أيضاً (الملك العضوض) من حيث المعنى ومن حيث من تنطبق عليهم هذه الصفة.

لهذا نقول: إنه لا حل لهذا الإشكال والتخبط ألا إذا سلمنا عن قناعة بأن الحديث الأول (الخلفاء اثنا عشر) كان وصية لم ينفذها المسلمون، وأن الحديث الثاني عن (الملك العضوض)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

هو الحدث التاريخي الحقيقي، فقد جمعت خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن فكانت ثلاثين عاماً.

إن الأمر الطبيعي والمنطقي هو أن يكون أحد الحديثين فقط قد تم تنفيذه فعلاً، إذ لا يمكن أن يحدث أمران متناقضان في زمن واحد وعلى هذا وطبقاً للواقع فالحديث الثاني هو الذي حصل كواقع تاريخي معروف، وهذا الحديث ينسجم تماماً مع آيات الخلائف التي ذكرناها، ومن مبدأ أن ما حدث هو بعلم الله، وليس بأمره. وأما الفريق الثاني فقد تمسك بالحديث النبوي الأول الذي يقول: (لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش). .

وهذا الحديث كما هو واضح للعيان لم ينفذه المسلمون، ويؤكد هذا الفريق: أن أئمة أهل البيت الاثني عشر هم المقصودون، وأنهم الخلفاء بعد الرسول (ε)...

وأما أدلة هذا الفريق؛ فمن النصوص القرآنية، ومن الأحاديث المتفق عليها , وسوف نأخذ منها أكثرها وضوحاً، ولكن بشكل مختصر نسبياً؛ لأنه سبق لنا أن عالجنا هذا الموضوع بالتفصيل في كتابنا(الكنوز المخفية في بحوث إسلامية-بحث التأويل -). ولكن قبل أن نأتي بالأدلة والشواهد؛ نود أن نعقد مقارنة بين آية قرآنية حول الخلائف وبين آية أخرى تتحدث عن الخلافة ليتضح الفرق بينهما:

قال تعالى في سورة الأنعام165: (وهو الذي جعلكم خلائف في الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما أتاكم إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم).

هنا الاختبار وارد، والعصمة لا وجود لها، إذاً: هؤلاء الخلائف يحكمون بعلم الله، وليس بفرض منه، وبالتالي؛ فإن الشق الثاني من حديث الرسول (ε) ثم يكون ملكاً عضوضاً)؛

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

هو الذي ينطبق على أولئك الخلائف؛ حسب هذه الآية وغيرها؛ من آيات الخلائف التي سبق أن ذكرناها.

وأما قوله تعالى في سورة ص26: (يا داوود إنّا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق...)

فهو يدل على عدة أمور:

1-الخطأ غير وارد، والعدل متحقق طيلة عهد داوود عليه السلام.

2-ليس هناك اختبار وابتلاء.

3-الخلافة أمر إلهي.

4-ما يقوم به الخليفة(النبي) هو بأمر الله.

نعود بعد ذلك إلى رأي الفريق الثاني الذي يؤكد: أن الرسول (ε) لا يمكن أن يترك المسلمين دون خليفة أو إمام؛ لأن ذلك يتعارض مع العقل، ويتناقض مع النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية، وبعضها مرتبط بأحداث دينية معروفة.

قلنا: يتعارض مع العقل لأن الرسول (ص)، وهو أعلم الناس في كل شيء، لا يمكن أن يترك خلافة المسلمين بعده للناس يقررون أمرها حسب أهوائهم ونزعاتهم الشخصية والقبلية والعائلية. وكلنا يعرف أن الأكثرية في عهد الرسول لم تكن على الصواب وسنذكر بعض الآيات فقط للتدليل على صحة ما نقول:

قال تعالى في سورة الفرقان: (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا) وقال

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

تعالى في سورة النحل 89: (ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر لناس إلا كفوراً).

وقال تعالى في سورة الروم3 (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون). وبناء على ما تقدم نقول: لو أن الخلافة تركت للشورى، فسيكون أحد زعماء الأكثرية المجانبة للصواب، هو الذي سيصبح خليفة... والرسول (ε) كان يعلم هذه الحقيقة، وأما الآيتان الوحيدتان اللتان تتحدثان عن الشورى، فإن من يدقق فيهما سيكتشف بنفسه أن لا علاقة لهما بشورى الخلافة، ولو كان الأمر غير ذلك لكان المنطق يقضي أن الرسول (ε) يجب أن يشكل مجلساً للشورى، يختاره في حياته من كبار الصحابة، ويوصي به من بعده. . وهذا بطبيعة الحال لم يحصل، وفي الوقت ذاته سنقع في أتون الخطايا، إذا اعتقدنا أن هناك من هو أكثر فهماً من الرسول (ε).

أما أدلة الفريق الثاني فكثيرة جداً وواضحة:

قال الله تعالى في سورة الأحزاب 33 (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهر كم تطهيراً)

فقد أخرج مسلم في صحيحه، عن طريق عائشة: خرج النبي (ε) وعليه مرط مرجل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي، عليه السلام، فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة، فادخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) (صحيح مسلم ج4 (ص 127).

وأخرج الترمذي من طريق عمرو بن أبي سلمة. ربيب النبي، قال: نزلت هذه ا لآية على النبي (ε) في بيت أبي سلمة،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

فدعا النبي (ε) فاطمة وعلياً وحسناً وحسيناً، فجللهم بكساء، ثم قال: اللهم هؤلاء بيتي، فاذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً: قالت أم سلمة: يا رسول الله وأنا معهم؟ فقال: أنت على مكانك، وأنت على خير. (الترمذي ج4 (ص 304).

وأخرج الحافظ: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي المتوفي سنة 303هـ، من طريق سعد بن أبي وقاص، قال: لما نزلت الآية (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً). دعا الرسول (ε) علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي. (الخصائص ص4).

وعن أبي سعد الخدري: أنها نزلت في خمسة: رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين، وأخرجه أحمد في المناقب.

كما أخرجه البغوي من طريق عائشة. (معالم التنزيل بهامش الخازن (ص 203) وروى السيوطي في الدر المنثور ج5 ص174 عن أبي الحمراء أن النبي (ε) كان يمر على باب بيت فاطمة ثمانية أشهر بالمدينة، ليس من مرة يخرج لصلاة الغداة، إلا وأتى باب فاطمة، ويقول: السلام عليكم أهل البيت (إنما يريد الله...) الآية.

2- بيعة الغدير: أخرج ابن جرير الطبري في كتاب الولاية بسنده، عن زيد بن أرقم، قال: لمّا نزل النبي (ε) بغدير خم في رجوعه من حجة الوداع، وكان في وقت الضحى، وحرّ شديد، فأمر بالدوحات، فقمتُ، ونادى الصلاة جامعة، فجمعنا، فخطب خطبة بالغة، ثم قال: إن الله تعالى أنزل إليّ: (بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس).

وقد أمرني جبريل، عن ربي، أن أقوم في هذا المشهد، واعلم كل أبيض وأسود أن: علي بن أبي طالب أخي،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

ووصيي، وخليفتي، والإمام بعدي، إلى أن قال: معاشر الناس: فإن الله قد نصّبه ولياً وإماماً، وفرض طاعته على كل أحد، ماضٍ حكمه، جائز قوله...اسمعوا وأطيعوا، فإن الله مولاكم، وعلي إمامكم، ثم الإمامة من صلبه إلى القيامة... إلى أن قال: افهموا كتاب الله، ولا تتبعوا متشابهه، ولن يفسر ذلك لكم، إلا من أنا آخذ بيده، شائل بعضده، ومعلمكم: أن من كنت مولاه فعلي مولاه وموالاته من الله عز وجل أنزلها عليّ، ألا وقد أديت، ألا وقد أسمعت، ألا وقد أوضحت.

إذاً الخلافة بعد الرسول أمر إلهي.

ملاحظة:

ورد في الآية الكريمة السابقة (... والله يعصمك من الناس) وحول هذه الآية هناك ملاحظتان:

1- إن كلمة (الناس) تدل: على المسلمين الذين سيعارضون هذا البلاغ، وهو تعيين الإمام علي، عليه السلام، خليفة للمسلمين.

2- ويتضح أيضاً أن كلمة (الناس) تدل على الأكثرية، إذ لو كانت تدل على الأقلية لما كانت هناك مشكلة في الإبلاغ. . كما إن استخدام كلمة (يعصمك)، يدل أيضاً على أن المقصود بالناس هم: الأكثرية.

3- حديث الثقلين: فقد أخرجه مسلم في صحيحه، من طريق زيد بن أرقم، وجاء فيه قول النبي (ε): وأنا تارك فيكم الثقلين: كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي (صحيح مسلم ج7 (ص 122). وأخرجه الترمذي عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله (ε): إني تارك فيكم الثقلين، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

من السماء إلى الأرض، وعترتي: أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض. فانظروا كيف تخلفوني فيهما (سنن الترمذي ج2 ص 308) وأخرج هذا الحديث أحمد بن حنبل عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله: إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض. (سنن أحمد ج2 ص14).

وقال أبن منظور في لسان العرب: روي عن النبي (ε) أنه قال في آخر عمره: إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي. (انتهى).

وفي حديث لأبي ذر الغفاري عن الرسول (ε) وهو آخذ بباب الكعبة أنه قال: مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق، (أخرجه أحمد بن حنبل والحاكم في المستدرك)

واخرج الطبراني، عن أبي سعيد الخدري، أن النبي (ε) قال: إنما أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل، من دخله غفر له، وقال أبان بن عياش: سألت الحسن البصري عن علي عليه السلام، فقال: ما أقول فيه؟ كانت له السابقة والفضل والعمل والحكمة والفقه والرأي والصحبة والنجدة والبلاء والزهد والقضاء والقربة، إلى أن قال: وقد قال رسول الله لفاطمة عليها السلام: زوجتك خير أمتي، فلو كان في أمته خير منه لاستثناه، ولقد آخى رسول الله بين أصحابه، فآخى بين علي ونفسه، فرسول الله خير الناس نفساً وخيرهم أخاً، (ابن أبي الحديد ج1 (ص 369).

وقد سئل الإمام أحمد بن حنبل عما يروى: أن علياً عليه السلام قسيم الجنة والنار. فقال: وما تنكرون من ذا؟ أليس قد روينا أن النبي (ε) قد قال: لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

منافق، قالوا: بلى قال: فأين المؤمن؟ قالوا: في الجنة، قال: فأين المنافق؟ قالوا: في النار، قال أحمد فعلي قسيم الجنة والنار.

وقال الأستاذ كرد علي في خطط الشام ج6 (ص 251-256):

عرف جماعة من كبار الصحابة بموالاة علي في عصر رسول الله (ε) مثل سلمان الفارسي، القائل: بايعنا رسول الله (ε) على النصح للمسلمين، والأئتمام بعلي بن أبي طالب، والموالاة له، ومثل أبي سعيد الخدري الذي يقول: أمر الناس بخمس، فعلوا أربعة، وتركوا واحدة، ولما سئل عن الأربع، قال: الصلاة والزكاة وصوم شهر رمضان والحج، قيل: فما الواحدة التي تركوها؟ قال: ولاية علي بن أبي طالب. قيل له: وإنها لمفروضة معهن؟ قال: نعم، هي مفروضة معهن، ومثل أبي ذر الغفاري، وعمار بن ياسر، وحذيفة بن اليمان، وذي الشهادتين: خزيمة بن ثابت، وأبي أيوب الأنصاري، وخالد بن سعيد العاص، وقيس بن سعد بن عبادة. (انتهى)

4- قال تعالى في سورة المائدة 55:

(إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون).

إن كل المفسرين ذكروا أن هذه الآية نزلت في الإمام علي عليه السلام، وأنه هو الذي تصدق وهو راكع. . وهي حادثة فريدة، وليست الغاية منها أن التصدق أثناء الركوع أفضل منه في الحالات العادية، بل هي تأكيد على أن من تصدق وهو راكع هو الولي بعد الرسول (ε) وهذا بيت القصيد، والتسلسل واضح: الله ثم الرسول ثم المؤمن الذي تصدق وهو راكع.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

5- قال رسول الله (ε) لعلي: أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي. (صحيح البخاري ج2 (ص 305 صحيح مسلم 360).

وعند هذا الحديث سنتوقف لزيادة الإيضاح: قال تعالى في سورة طه 28-35: (واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً إنك كنت بنا بصيراً قال قد أوتيت سؤلك يا موسى).

وقال تعالى في سورة الفرقان 35: (ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً).

وقال الله تعالى في سورة الأعراف 142: (وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبل المفسدين).

من هذه الآيات الكريمة يتضح بشكل قطعي أن هارون أصبح وزيراً لموسى بأمر الله وعندما يقول الرسول لعلي: أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي، فإنه يقصد حتماً أنه وزيره وخليفته من بعده، أي: أنه ورث الخلافة والإمامة عن النبي، ولم يرث النبوة,.

ومن المؤكد أن الخليفة بعد الرسول (ε) يجب أن تتوافر فيه صفات مميزة، وهذا ما أوضحه الجاحظ في رسالته (الترجيح والتفضيل). يقول الجاحظ: فوجدنا الناس مختلفين يبرأ بعضهم من بعض، ويجمعهم في حال اختلافهم، فريقان: أحدهما قالوا: إن النبي مات ولم يستخلف أحداً، وجعل ذلك إلى المسلمين يختارونه، فاختاروا أبا بكر. والآخرون قالوا: إن النبي (ε) استخلف علياً، فجعله إماماً للمسلمين من بعده، وادعى كل فريق منهم الحق، فلما رأينا ذلك وقفنا الفريقين لنبحث ونعلم المحق من المبطل. فسألناهم جميعاً: هل للناس بد من والي يقيم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أعيادهم، ويجبي زكواتهم، ويفرقها على مستحقيها، ويقضي بينهم، ويأخذ لضعيفهم من قويهم، ويقيم حدودهم، فقالوا: لا بد من ذلك، فقلنا: هل لأحد أن يختار أحداً فيوليه بغير نظر في كتاب الله وسنة نبيه (ε)، فقالوا: لا يجوز ذلك إلا بالنظر، فسألناهم جميعاً عن ا لإسلام الذي أمر الله به، فقالوا: إنه الشهادتان، والإقرار بما جاء من عند الله، والصلاة والصوم، والحج، بشرط الاستطاعة، والعمل بالقرآن، يحل حلاله، ويحرم حرامه، فقبلنا ذلك منهم، ثم سألناهم جميعاً: هل لله خيرة من خلقه اصطفاهم واختارهم؟ فقالوا: نعم، فقلنا: ما برهانكم؟ قالوا: قوله تعالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة من أمرهم) فسألناهم من الخيرة؟ قالوا: هم المتقون، قلنا: ما برهانكم؟ فقالوا: قوله تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) فقلنا: هل لله خيرة من المتقين؟ قالوا: نعم، المجاهدون بأموالهم، بدليل قوله تعالى: (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة). فقلنا: هل لله خيرة من المجاهدين: قالوا جميعاً، نعم السابقون من المهاجرين إلى الجهاد، بدليل قوله تعالى (لا يستوي من أنفق من قبل الفتح وقاتل). فقبلنا ذلك منهم، لإجماعهم عليه، وعلمنا أن خيرة الله من خلقه المجاهدون السابقون إلى الجهاد. ثم قلنا: هل لله منهم خيرة؟ قالوا: نعم، قلنا: من هم؟ قالوا: أكثرهم عناءً في الجهاد، وطعناً وضرباً وقتلاً في سبيل الله، بدليل قوله تعالى: (من يعمل مثقال ذرة خيراً يره وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله) فقبلنا ذلك منهم، وعلمناه وعرفنا أن خيرة الخيرة أكثرهم في الجهاد عناء وأبذلهم لنفسه في طاعة الله. وأقتلهم لعدوه، فسألناهم عن هذين الرجلين: علي بن أبي طالب، وأبي بكر، أيهما كان أكثر عناء في الحرب؟ وأحسن بلاء في سبيل الله؟ فأجمع الفريقان على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، أنه

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

كان أكثر طعناً وضرباً وأشد قتالاً وأذب عن دين الله ورسوله، فثبت بما ذكرنا من إجماع الفريقين ودلالة الكتاب والسنة أن علياً أفضل وسألناهم، ثانياً، عن خيرته من المتقين، فقالوا: هم الخاشعون، بدليل قوله تعالى: (وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد). إلى قوله (من خشي الرحمن بالغيب). وقال تعالى: أعدت للمتقين الذين يخشون ربهم) ثم سألناهم: من الخاشعون؟ قالوا هم العلماء لقوله تعالى: (إنما يخشى الله من عباده العلماء). ثم سألناهم جميعاً: من أعلم الناس؟ قالوا: أعلمهم بالقول، وأهداهم إلى الحق، وأحقهم أن يكون متبوعاً، ولا يكون تابعاً، بدليل قوله تعالى: (يحكم بكم ذوا عدل منكم). فجعل الحكومة لأهل العدل، فقبلنا ذلك منهم. ثم سألناهم: عن أعلم الناس بالعدل، من هو؟. قالوا: أدلهم عليه. قلنا: فمن أدل الناس عليه؟ قالوا: أهداهم إلى الحق، وأحقهم إن يكون متبوعاً. ولا يكون تابعاً، بدليل قوله تعالى: (أفمن يهدي إلى الحق), فدل كتاب الله وسنة نبيه (ε) والإجماع، أن أفضل الأمة بعد نبيها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، لأنه إذا كان أكثرهم جهاداً كان اتقاهم، وإذا كان أتقاهم كان أخشاهم، وإذا كان أخشاهم كان أعلمهم، وإذا كان أعلمهم كان أدل على العدل، وإذا كان أدل على العدل كان أهدى الأمة إلى الحق، وإذا كان أهدى كان أولى أن يكون متبوعاً، وأن يكون حاكماً لا تابعاً، ولا محكوماً عليه، وأجمعت الأمة بعد نبيها، أنه خلف كتاب الله تعالى ذكره، وأمرهم بالرجوع إليه إذا نابهم أمر، وإلى سنة نبيه (ε) فيتدبرونها، ويستنبطون منها ما يزول به الاشتباه، فإذا قرأ قارئهم (وربك يخلق ما يشاء ويختار) فيقال له: أثبتها ثم يقرأ (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وفي قراءة ابن مسعود: (إن خيركم عند الله أتقاكم). ثم يقرأ: (وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ من خشي الرحمن بالغيب). فدلت

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

هذه الآية على أن المتقين هم الخاشعون، ثم يقرأ، حتى إذا بلغ إلى قوله تعالى: (إنما يخشى الله من عباده العلماء)، فيقال له: اقرأ حتى ننظر هل العلماء أفضل من غيرهم أم لا؟ حتى إذا بلغ إلى قوله تعالى: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)، قيل: قد دلت هذه الآية على أن الله تعالى قد اختار العلماء، وفضلهم، ورفعهم درجات، وقد أجمعت الأمة على أن العلماء من أصحاب الرسول (ε) الذين يؤخذ عنهم العلم، كانوا أربعة: علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس وابن مسعود وزيد بن ثابت رضي الله عنهم، وقالت طائفة: عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، فسألنا الأمة من أولى بالتقديم إذا حضرت الصلاة؟ فقالوا: إن النبي (ε) قال: يؤم بالقوم أقرؤهم، ثم أجمعوا أن الأربعة كانوا اقرأ لكتاب الله من عمر، فسقط عمر، ثم سألنا الأمة: أي هؤلاء الأربعة أقرأ لكتاب الله وأفقه لدينه؟ فاختلفوا، فوقفناهم، حتى نعلم ثم سألنا الأمة: أيهم أولى بالإمامة؟ فاجمعوا على أن النبي (ε) قال: الأئمة من قريش، فسقط ابن مسعود، وزيد بن ثابت، وبقي: علي بن أبي طالب، وابن عباس. فسألنا: أيهما أولى بالإمامة؟ فأجمعوا على أن النبي (ε) قال: إذا كان عالمين فقيهين قرشيين فأكبرهما سناً وأقدمهما هجرة، فسقط ابن عباس، وبقي علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، فيكون أحق بالإمامة، لما أجمعت عليه الأمة، ولدلالة الكتاب والسنة. هذا آخر رسالة أبي عثمان بن بحر الجاحظ.

(كتاب كشف الغمة في معرفة الأئمة للعلامة المحقق أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي المتوفي في بغداد سنة 693هـ).

وقد رأينا من المفيد أيضاً أن ننقل حرفياً ما ورد في العقد الفريد حول احتجاج المأمون على فقهاء عصره في فضل

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الإمام علي، فقد أمر الخليفة المأمون أن يحضروا له أربعين فقيهاً. قال الراوي: فلما استقر بنا المجلس، قال: إنما بعثت إليكم معشر القوم في المناظرة، فمن كان به شيء من الأخبثين لم ينتفع بنفسه ولم يفقه ما يقول, فمن أراد منكم الخلاء فهناك، وأشار بيده، فدعونا له، ثم ألقى مسألة من الفقه، فقالِ: يا أبا محمد، قل، وليقل القوم من بعدك. فأجابه يحيى، ثم الذي يلي يحيى ثم الذي يليه، حتى أجاب آخرنا في العلة وعلة العلة، وهو مطرق لا يتكلم. حتى إذا انقطع الكلام التفت إلى يحيى فقال: يا أبا محمد، أصبت الجواب، وتركت الصواب في العلة، ثم لم يزل يرد على كل واحد منا مقالته، ويخطئ بعضنا، ويصوب بعضنا، حتى أتى على آخرنا. ثم قال: إني لم أبعث فيكم لهذا، ولكنني أحببت أن أنبئكم أن أمير المؤمنين أراد مناظرتكم في مذهبه الذي هوعليه، ودينه الذي يدين الله به. قلنا: فليفعل أمير المؤمنين وفقه الله. فقال: إن أمير المؤمنين يدين الله على أن علي بن أبي طالب خير خلق الله بعد الرسول (ε)، وأولى الناس بالخلافة. قال إسحاق: قلت: يا أمير المؤمنين إن فينا من لا يعرف ما ذكر أمير المؤمنين في علي وقد دعانا أمير المؤمنين للمناظرة فقال يا إسحاق اختر إن شئت أن أسألك، وإن شئت أن تسأل قال اسحاق: فاغتنمتها منه... فقلت: بل أسألك يا أمير المؤمنين. فقال: سل. قلت من أين قال أمير المؤمنين إن علي بن أبي طالب أفضل الناس بعد رسول الله وأحقهم بالخلافة بعده؟ قال: يا إسحاق، خبرني عن الناس بمَ يتفاضلون حتى يقال فلان أفضل من فلان؟ قلت: بالأعمال الصالحة قال: صدقت قال: فاخبرني عمن فضل صاحبه. على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم إن المفضول عمل بعد وفاة رسول الله بأفضل من عمل الفاضل على عهد رسول الله.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أيلحق به؟ قال: فأطرقت. فقال لي: يا إسحاق، لا تقل: نعم، فإنك إن قلت: نعم، أو جدتك في دهرنا هذا من هو أكثر منه جهاداً، وحجاً، وصياماً، وصلاة، وصدقة. قلت: أجل، يا أمير المؤمنين، لا يلحق المفضول على عهد رسول الله (ε) الفاضل أبداً. قال: يا إسحاق، فأنظر ما رواه لك أصحابك، ومن أخذت عنهم دينك، وجعلتهم قدوتك، من فضائل علي بن أبي طالب. فقسْ عليها ما أتوك به من فضائل أبي بكر، فإن رأيت فضائل أبي بكر تشاكل فضائل علي فقل: إنه أفضل منه، لا والله ولكن فقس إلى فضائله ما روي لك من فضائل أبي بكر وعمر. فإن وجدت لهما من الفضائل ما لعلي وحده، فقل: إنهما أفضل منه. لا والله، ولكن قس إلى فضائله فضائل العشرة الذين شهد لهم رسول الله (ε) بالجنة، فإن وجدتها تشاكل فضائله فقل: إنهم أفضل منه. ثم قال: يا إسحاق، أي الأعمال كانت أفضل يوم بعث الله رسوله؟ قلت: الإخلاص بالشهادة. قال: أليس السبق إلى الإسلام؟ قلت: نعم. قال: أقرأ ذلك في كتاب الله تعالى يقول: (والسابقون السابقون أولئك المقربون). إنما عنى من سبق إلى الإسلام، فهل علمت أحداً سبق علياً إلى الإسلام؟ قلت: يا أمير المؤمنين، إن علياً أسلم وهو حديث السن لا يجوز عليه الحكم، وأبو بكر أسلم وهو مستكمل يجوز عليه الحكم. قال: أخبرني أيهما أسلم قبل؟ ثم أناظرك من بعده في الحداثة والكمال. قلت: عليٌ أسلم قبل أبي بكر على هذه الشريطة. فقال: نعم، فأخبرني عن إسلام علي حين أسلم لا يخلو من أن يكون رسول الله (ε) دعاه إلى الإسلام أويكون إلهاماً من الله؟ قال: فأطرقت. فقال لي: يا اسحاق، لا تقل إلهاماً فتُقدمه على رسول الله (ε)، لأن رسول الله (ε) لم يعرف الإسلام حتى أتاه جبريل عن الله تعالى. قلت: أجل، بل دعاه رسول الله (ε) إلى الإسلام. قال: يا إسحاق، فهل يخلو رسول الله (ε) حين دعاه

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

إلى الإسلام من أن يكون دعاه بأمر الله أو تكلف ذلك من نفسه؟ قال: فأطرقت. فقال: يا اسحاق، لا تنسب رسول الله إلى التكلف، فإن الله يقول: (وما أنا من المتكلفين). قلت: أجل يا أمير المؤمنين، بل دعاه بأمر الله. قال: فهل من صفة الجبار جلَّ ذكره أن يكلف رسله دعاء من لا يجوز عليه حكم؟ قلت: أعوذ بالله فقال: افتراه في قياس قولك يا اسحاق إن علياً أسلم صبياً لا يجوز عليه الحكم، وقد كلف رسول الله (ε) دعاء الصبيان إلى ما لا يطيقونه، فهو يدعوهم الساعة، ويرتدون بعد ساعة، فلا يجب عليهم في ارتدادهم شيء، ولا يجوز عليهم حكم الرسول (ε)، أترى هذا جائزاً عندك أن تنسبه إلى الله عز وجلّ؟ قال أعوذ بالله. قال: يا اسحاق، فأراك إنما قصدت لفضيلة فضّل بها رسول الله (ε) علياً على هذا الخلق أبانه بها منهم ليُعرف مكانه وفضله، ولو كان الله تبارك وتعالى أمره بدعاء الصبيان لدعاهم كما دعا علياً؟ قلت: بلى.

قال: فهل بلغك أن الرسول (ε) دعا أحداً من الصبيان من أهله وقرابته، لئلاّ تقول إن علياً ابن عمه؟ قلت: لا أعلم، ولا أدري فعل أولم يفعل. قال: يا إسحاق، أرأيت ما لم تدره ولم تعلمه هل تسأل عنه؟ قلت: لا. قال فدع ما قد وضعه الله عنّا وعنك. ثم قال: أي الأعمال كانت أفضل بعد السبق إلى الإسلام؟ قلت: الجهاد في سبيل الله. قال: صدقت، فهل تجد لأحد من أصحاب رسول الله (ε) ما تجده لعلي في الجهاد؟ قلت: في أي وقت؟ قال: في أي الأوقات شئت؟ قلت: بدر. قال: لا أريد غيرها، فهل تجد لأحد إلا دون ما تجد لعلي يوم بدر؟ أخبرني كم قتلى بدر؟ قلت: نيف وستون رجلاً من المشركين. قال: فكم قتل عليٌ وحده؟ قلت لا أدري ثلاثة وعشرين أو اثنين وعشرين، والأربعون لسائر الناس. قلت: يا أمير المؤمنون، كان أبو بكر مع رسول الله (ε) في عريشه، قال: يصنع ماذا؟

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قلت: يدبّر. قال: ويحك! يدبّر دون رسول الله أو معه شريكاً أم افتقاراً من رسول الله (ε) إلى رأيه؟ أي الثلاث أحب إليك؟ قلت: أعوذ بالله أن يدبّر أبو بكر دون رسول الله (ε) أو أن يكون معه شريكاً أو أن يكون برسول الله (ε) افتقار إلى رأيه. قال: فما الفضيلة بالعريش إذا كان الأمر كذلك؟ أليس من ضرب بسيفه بين يدي رسول الله أفضل ممن هو جالس؟ قلت: يا أمير المؤمنين، كل الجيش كان مجاهداً. قال: صدقت، كلٌ مجاهد، ولكن الضارب بالسيف المحامي عن رسول الله (ε) وعن الجالس أفضل من الجالس، أما قرأت في كتاب الله: (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وبأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً وعد الله الحسنى. وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً). قلت: وكان أبو بكر وعمر مجاهدين. قال: فهل كان لأبي بكر وعمر فضل على من لم يشهد ذلك المشهد؟ قلت: نعم. قال: فكذلك سبق الباذل نفسه فضل أبي بكر وعمر. قلت: أجل. قال يا إسحاق: هل تقرأ القرآن؟ قلت: نعم. قال: أقرأ عليّ: (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً) فقرأت منها حتى بلغت: (يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً) إلى قوله: (ويطعمون الطعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً) قال: على رسلك، فيمن أنزلت هذه الآيات؟ قلت: في علي. قال: فهل بلغك أن علياً حين أطعم المسكين واليتيم والأسير. قال: إنما نطعمكم لوجه الله؟ قلت: أجل. قال: وهل سمعت الله وصف في كتابه أحداً بمثل ما وصف علياً؟ قلت: لا قال صدقت، لان الله عز وجل ثناؤه عرف سيرته. يا اسحاق، ألست تشهد أن العشرة في الجنة؟ قلت: بلى يا أمير المؤمنين. قال: أرأيت لو أن رجلاً. قال: والله ما أدري هذا الحديث صحيح أم لا؟ ولا أدري إن كان رسول

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

الله قاله أم لم يقله، أكان عندك كافراً؟ قلت: أعوذ بالله. قال أرأيت لو أنه قال: ما أدري هذه السورة من كتاب الله أم لا، أكان كافراً؟ قلت: نعم. قال إسحاق: أرى بينهما فرقاً. يا إسحاق، أتروي الحديث؟ قلت: نعم. قال: فهل تعرف حديث الطير؟ قلت: نعم. قال: فحدثني به. قال: فحدثته الحديث.

ملاحظة: نذكر الحديث هنا لكي يطلع القارئ عليه

وراوي الحديث هو أنس بن مالك الذي قال: أهدي لرسول الله (ε) طعام، فوضع بين يديه فقال: اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي، قال: فجاء علي بن أبي طالب عليه السلام، فدق الباب، قلت: من ذا؟ قال: أنا علي، قال: قلت النبي (ε) على حاجة، فأتى ثلاث مرات، كل ذلك يجيء فأرده، فضرب الباب برجله، فدخل فقال النبي (ε) هلّم ما حبسك؟ قال: جئت ثلاث مرات كل ذلك يقول النبي على حاجة! فقال لي: ما حملك على ذلك؟ قال: كنت أحب أن يكون رجلاً من قومي. (انتهى).

فقال: يا إسحاق، أني كنت أكلمك وأنا أظنّك غير معاند للحق، فأما الآن فقد بأن لي عنادك، إنك توافق أن هذا الحديث صحيح؟ قلت: نعم رواه من لا يمكنني رده. قال: أفرأيت أن من أيقن أن هذا الحديث صحيح، ثم زعم أن أحداً أفضل من علي، لا يخلو من إحدى ثلاثة: من أن تكون دعوة رسول الله (ε) عنده مردودة عليه، أو أن يقول: إن الله عز وجل عرف الفاضل من خلقه، وكان المفضول أحب إليه، أو أن يقول: إن الله عز وجل لم يعرف الفاضل من المفضول. فأي الثلاثة أحب إليك أن تقول؟ فأطرقت. ثم قال: يا إسحاق لا تقل منها شيئاً فإنك إن قلت منها شيئاً استتبتك، وإن كان للحديث عندك تأويل غير هذه الثلاثة الأوجه، فقله. فقلت: لا أعلم، وإن لأبي بكر فضلاً. قال: أجل، لولا أن له فضلاً لما قيل إن علياً أفضل منه، فما فضله الذي قصدت إليه الساعة؟ قلت: قول الله عز وجلّ:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا)، فنسبه إلى صحبته. قال: يا إسحاق، أما إني لا أحملك على الوعر من طريقك، إني وجدت الله تعالى نسب إلى صحبة من رضيه ورضي عنه كافراً، وهو قوله: (فقال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً. لكن الله هو ربي ولا أشرك بربي أحداً). قلت: إن ذلك الصاحب كان كافراً، وأبو بكر مؤمن. قال: فإذا جاز أن ينسب إلى صحبة من رضيه كافراً جاز أن ينسب إلى صحبة نبيه مؤمناً، وليس بأفضل المؤمنين ولا الثاني والثالث، قلت: يا أمير المؤمنين إن قدر الآية عظيم، إن الله يقول: (ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا). قال: يا إسحاق تأبى الآن إلا أن أخرجك إلى الاستقصاء عليك، أخبرني عن حزن أبي بكر، أكان رضى أم سخطاً؟ قلت: إن أبا بكر إنما حزن من أجل رسول الله (ε) خوفاً عليه، وغماً أن يصل رسول الله (ε) شيء من المكروه. قال: ليس هذا جوابي، إنما كان جوابي أن تقول: رضىً أم سخط؟ قلت: بل رضىً. قال: فكأن الله جل ذكره بعث إلينا رسولاً ينهى عن رضى الله عز وجل وعن طاعته، قلت: أعوذ بالله. قال: أو ليس قد زعمت أن حزن أبي بكر رضىً لله؟ قلت: بلى، قال: أولم تجد أن القرآن يشهد أن رسول الله (ε) قال له: (لا تحزن) نهياً له عن الحزن. قلت: أعوذ بالله. قال: يا إسحاق، إن مذهبي الرفق بك، لعل الله يردك إلى الحق، ويعدل بك عن الباطل، لكثرة ما تستعيذ به، وحدثني عن قول الله: (فأنزل الله سكينته عليه) من عنى بذلك: رسول الله أم أبي بكر؟ قلت: بل رسول الله. قال: صدقت. قال: فحدثني عن قول الله عز وجل: (ويوم حُنين إذ أعجبتكم كثرتكم) إلى قوله: (ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) أتعلم مَنْ المؤمنون الذين أراد الله في هذا الموضع؟

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قلت: لا أدري يا أمير المؤمنين. قال: الناس جميعاً انهزموا يوم حُنين، فلم يبق مع رسول الله، إلا سبعة نفر من بني هاشم: عليّ يضرب بسيفه بين يديّ رسول الله والعباس أخذ بلجام بغلة رسول الله والخمسة محدقون به خوفاً من أن يناله من جراح القوم شيء. حتى أعطى الله لرسوله الظفر، فالمؤمنون في هذا الموضع عليٌّ خاصة، ثم من حضره من بني هاشم، قال فمن أفضل: من كان مع رسول الله (ε) في ذلك الوقت، أم من انهزم عنه، ولم يره الله موضعاً لينزلها عليه؟ قلت: بل من أنزلت عليه السكينة؟ قال يا إسحاق: من أفضل من كان معه في الغار أم من نام على فراشه ووقاه بنفسه، حتى تم لرسول الله (ε) ما أراد من الهجرة، إن الله تبارك وتعالى أمر رسوله أن يأمر علياً بالنوم على فراشه، وأن يقي رسول الله (ε) بنفسه، فأمره رسول الله (ε) بذلك، فبكى عليٌّ رضي الله عنه. فقال له رسول الله (ε) ما يبكيك يا علي اجزعاً من الموت؟ قال: لا، والذي بعثك بالحق يا رسول الله، ولكن خوفاً عليك، أفتسلم يا رسول الله؟ قال: نعم. قال: سمعاً وطاعة وطيبة نفسي بالفداء لك يا رسول الله. ثم أتى مضجعه وأضطجع، وتسجى بثوبه. وجاء المشركون من قريش فحفّوا به، لا يشكون أنه رسول الله (ε) وقد أجمعوا أن يضربه من كل بطن من بطون قريش رجل ضربة بالسيف لئلا يطلب الهاشميون من البطون بطناً بدمه، وعلي يسمع ما القوم فيه من تلف نفسه ولم يدعه ذلك إلى الجزع كما جزع صاحبه في الغار. ولم يزل علي صابراً محتسباً. فبعث الله ملائكته فمنعته من مشركي قريش حتى أصبح، فلما أصبح قام، فنظر القوم إليه، فقالوا: أين محمد؟ قال وما علمي بمحمد أين هو؟ قالوا: فلا نراك إلا كنت مغرراً بنفسك منذ ليلتنا، فلم يزل علي أفضل ما بدأ به يزيد ولا ينقص حتى قبضه الله إليه. يا إسحاق، هل تروي حديث الولاية؟ قلت:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

نعم يا أمير المؤمنين. قال: أروه. ففعلت. قال: يا إسحاق، أرأيت هذا الحديث هل أوجب على أبي بكر وعمر ما لم يوجب لهما عليه؟ قلت: إن الناس ذكروا أن الحديث إنما كان بسبب زيد بن حارثة لشيء جرى بينه وبين علي، وأنكر ولاء علي، فقال رسول الله (ε): من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وآلِ من والاه، وعاد من عاداه، قال: وفي أي موضع قال هذا؟ أليس بعد منصرفه من حجة الوداع؟ قلت: أجل. قال: فإن قتل زيد بن حارثة قبل الغدير، كيف رضيت لنفسك بهذا؟ أخبرني لو رأيت ابناً لك قد أتت عليه خمس عشرة سنة، يقول: مولاي مولى ابن عمي أيها الناس، فاعلموا ذلك. أكنتَ منكراً عليه تعريفه الناس ما لا ينكرون ولا يجهلون؟ فقلت: اللهم نعم. قال: يا اسحاق، أفتنزه ابنك عما لا تتره عنه رسول الله (ε)، ويحكم؟ لا تجعلوا فقهاءكم أربابكم إن الله جلّ ذكره قال في كتابه: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) ولم يصلوا لهم ولا صاموا ولا زعموا أنهم أرباب، ولكن أمروهم فأطاعوا أمرهم. يا إسحاق، أتروي حديث: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى؟ قلت نعم يا أمير المؤمنين، قد سمعته وسمعت من صححه، ومن جحده؟ قال: فمن أوثق عندك: من سمعت منه فصححه أومن جحده؟ قلت: من صححه. قال: فهل يمكن أن يكون الرسول (ε) مزح بهذا القول؟ قلت: أعوذ بالله. قال: فقال قولاً لا معنى له فلا يوقف عليه؟ قلت: أعوذ بالله. قال: أفما تعلم أن هارون كان أخا موسى لأبيه وأمه؟ قلت: بلى، قال: فعلي أخو رسول الله لأبيه وأمه؟ قلت: لا. قال: أوليس هارون كان نبياً، وعلي غير نبي؟ قلت: بلى. قال: فهذان الحالان معدومان في علي وقد كانا في هارون، فما معنى قوله: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى)؟ قلت له: إنما أراد أن يطيب بذلك نفس علي لما قال المنافقون: إنه خلفه استثقالاً له. قال:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فأراد أن يطيب نفسه بقول لا معنى له؟ قال: فأطرقت قال: يا إسحاق له معنى في كتاب الله بيَّن. قلت: وما هويا أمير المؤمنين؟ قال: قوله عز وجل حكاية عن موسى إنه قال لأخيه هارون: (اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين). قلت: يا أمير المؤمنين، إن موسى خلف هارون في قومه وهوحي، ومضى إلى ربه، وأن رسول الله (ε) خلَّف علياً كذلك حين خرج إلى غزاته. قال: كلا ليس كما قلت. أخبرني عن موسى حين خلف هارون، هل كان معه حين ذهب إلى ربه أحدٌ من أصحابه أو أحد من بني إسرائيل؟ قلت: لا. أوليس استخلفه على جماعتهم؟ قلت: نعم. قال: فأخبرني عن رسول الله (ε) حين خرج إلى غزاته، هل خلف إلاّ الضعفاء والنساء والصبيان؟ فأنَّى يكون مثل ذلك؟ وله عندي تأويل آخر من كتاب الله يدل على استخلافه إياه لا يقدر أحد أن يحتج فيه ولا أعلم أحداً احتج به...، وأرجو أن يكون توفيقاً من الله. قلت: وما هويا أمير المؤمنين؟ قال قوله عز وجل حين حكى عن موسى قوله: (واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً أنك كنت بنا بصيراً) فأنت مني يا علي بمنزلة هارون بن موسى، وزيري من أهلي، وأخي أشد به أزري، وأشركه في أمري كي نسبح الله كثيراً، ونذكره كثيراً. فهل يقدر أحد أن يدخل في هذا شيئاً غير هذا؟ ولم يكن ليبطل قول النبي (ε) وأن يكون لا معنى له. قال: فطال المجلس وارتفع النهار. فقال يحيى ابن أكثم القاضي: يا أمير المؤمنين، قد أوضحت الحق لمن أراد الله به الخير، وأثبت ما لا يقدر أحد أن يدفعه. . قال إسحاق: فأقبل علينا، وقال: ما تقولون؟ فقلنا: كلنا نقول بقول أمير المؤمنين أعزه الله. فقال: والله لولا أن رسول الله (ε) قال: (اقبلوا القول من الناس) ما كنت لأقبل منكم القول. اللهم لقد نصحت لهم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

القول، اللهم إني قد أخرجت الأمر من عنقي، اللهم إني أدينك بالتقرب إليك بحب علي وولايته.

(العقد الفريد لابن عبد ربه ج5 – ص93 –101)

وبناءً على كل ما تقدم، فإن الفريق الثاني يرى أن الحديث المتعلق بكون الخلفاء بعد الرسول (ε) هم اثنا عشر، وكلهم من قريش هو الذي ينطبق على أهل البيت الذين طهرهم الله سبحانه وتعالى من الرجس، وأولهم: الإمام علي وأخرهم: محمد بن حسن الحجة سلام الله عليهم أجمعين. وهذا الحديث كان أمراً إليهاً كما رأينا بالأدلة القاطعة، وكان وصية لم ينفذها المسلمون، ولم يستطع الفريق الأول أن يذكر هؤلاء الخلفاء الاثني عشر، ولا أين ينتهي أخرهم. . وحتى لو استطاعوا أن يفعلوا ذلك فسيكون أمامهم عقبتان:

الأولى: أنه ليس لديهم دليل على هذا العدد، ولأن ولاة هذا الأمر من الصحابة، وبني أمية، وبني العباس، يزيدون على الخمسين.

الثانيـــة: أنهـــم كـــانوا ســـيقولون عـــن الحـــديث الأول وهو(الخلافة بعدي ثلاثون ثم يكون ملكاً عضوضاً) بأنه حديث غير صحيح، وهذا أمر مستحيل، لأن رواة الحديث كلهم ثقات، ناهيك أن هذا الحديث هو الذي تم تنفيذه على ارض الواقع، وكان ذلك بعلم الله، وليس بأمره. ولا يفوتنا أن نشير إلى ملاحظة جديرة بالاهتمام، وهي تتعلق بالجزء الأول من الحديث الأول (الخلافة بعدي ثلاثون)، فمن المعلوم أن إمامة علي بن أبي طالب عليه السلام هي أيضاً ثلاثون سنة أي منذ وفاة الرسول (ε) في السنة العاشرة للهجرة إلى وفاة الإمام علي في شهر رمضان عام /40/ للهجرة. وبهذا تكون المدة وهي

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ثلاثون سنة تنطبق على فترة حكم الخلفاء الخمسة وكذلك تنطبق على فترة إمامة علي بعد الرسول (ε).

وهذا يؤكد أن الإمام علي عليه السلام كان هو الخليفة والإمام بعد الرسول (ε). وباعتبار أن المسلمين لم ينفذوا الوصية التي تشير إلى أن الخلفاء بعده اثنا عشر، فقد ظل إماماً فقط ستة وعشرين عاماً ثم أربع سنوات ونيف إماماً وخليفة.

ولزيادة إيضاح أهمية الإمامة وأنها ركن جوهري في العقيدة الإسلامية سنتوقف عند معنى كلمة الإسلام، ومعنى كلمة الإيمان، ومن خلال الفرق بينهما سنرى ارتباط الإيمان بالإمامة.

في البداية لا بد لنا من القول الذي لن نختلف فيه مع أحد، وهو أن الإمام هو بالضرورة أكثر الناس علماً وفقهاً وتقى. والإمام، إما أن يكون بأمر إلهي، أي: بدلائل قرآنية وبأحاديث صحيحة للرسول (ε). وإما أن يكون إماماً نصبَّه البشر واتفقوا على علمه بشكل من الأشكال، واعتماداً على هذه الحالة فسوف يكون هناك عدد من الأئمة تبعاً لكل مذهب.

إن المنطق العقلاني الإيماني يفرض علينا إتباع الإمام الذي تشير إليه بوضوح الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، لأنه أولى بالإتباع. واعتماداً على هذا المنطق نقول: إن علي بن أبي طالب هو من أشار إليه القرآن والأحاديث وتطابق هذا كله مع علمه وتقاه وعدله وشجاعته وجهاده في سبيل الله وهو الإمام والخليفة بعد الرسول (ε). وإذا كانت ظروف المسلمين قد شابها من التفكك والنزاع قد أبعدته عن الخلافة السياسية، فقد ظل هو الإمام الذي كان اتباعه واجباً وعاصماً من الزلل والانحراف.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وقد سبق أن أوضحنا بعض الدلائل وليس كلها على صحة إمامة علي وخلافته، وأنه أول الخلفاء الاثني عشر، وأخرهم هو محمد بن الحسن وأن علمهم مستمد من علم رسول الله (ε) ولا مجال للاجتهاد والقياس. وعلى هذا فالإمام هو وحده الذي يكون قادراً على أن يشرح القرآن والسنة النبوية.

قال رسول الله (ε) أنا مدينة العلم وعلي بابها. وقال: أنا المنذر وعلي الهادي وبك يا علي يهتدي المهتدون من بعدي.

(تفسير الرازي ج5 ص271- تفسير الطبري ج13 ص108- تفسير الشوكاني ج3 ص70- تفسير ابن كثير ج2 ص502- تفسير السيوطي الدر المنثور ج4 ص45- تفسير ابن الجوزي ج4 ص307- مستدرك الحاكم ج3 ص129).

وقال الإمام علي عليه السلام: ما نزلت على رسول الله (ε) آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها عليَّ فكتبتها بخطي وعلَّمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها.

إذاً: التأويل والتفسير والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه قد اختص بها علي عليه السلام، وقال أيضاً: أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا كذباً وبغياً علينا أن رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرمهم، وأدخلنا وأخرجهم؟ بنا يستعطى الهدى ويُستجلى العمى، إن الأئمة من قريش غُرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاة من غيرهم.

(نهج البلاغة ج2 ص143 شرح محمد عبده)

ويتضح من قوله عليه السلام أن الأئمة في هاشم.

بعد هذا العرض الموجز نعود إلى معنى الإسلام ومعنى الإيمان: فالإسلام هو: الإقرار بالشهادتين والصلاة والصوم والزكاة والحج. وهذه هي أركان الإسلام. ولكن لو دققنا لوجدنا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أن الأركان هنا أربعة وليست خمسة لأن الصلاة لا تقوم بغير الشهادتين (الآذان) وعلى هذا فالإقرار بالشهادتين ليس ركناً منفصلاً، وهذا ما أشار إليه الأستاذ كرد علي في خطط الشام وفيه يقول أبو سعيد الخدري: أمر الناس بخمس فعلوا أربعاً وتركوا واحدة ولما سئل عن الأربع، قال: الصلاة والزكاة والصوم والحج، وقيل فما الواحدة التي تركوها؟ قال: ولاية علي بن أبي طالب. قيل له: وإنها لمفروضة معهن. قال: نعم.

وهذا يذكرنا بما قاله المأمون في نهاية جداله مع الفقهاء الأربعين: اللهم إني أدينك بالتقرب إليك بحب علي وولايته. قال تعالى في سورة الحجرات 13: (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) إذاً: الأعراب مسلمون، ولكن الإيمان لم يدخل في قلوبهم (والقلوب هي العقول لأن الإيمان في العقل وليس في عضلة القلب) أي أنهم يصلون ويصومون ويزكون ويحجون. .

إن هذه لآية الكريمة تضعنا أما نوعين من البشر: مسلم ومؤمن. وهذا يعني أن هناك فرقاً كبيراً بين الإسلام وبين الإيمان، ودخول الجنة يكون بالإيمان لأن الإيمان يتضمن الإسلام، ولكن الإسلام لا يتضمن الإيمان. وإذا عدنا إلى النص القرآني، فسوف نجد أن هناك تسعاً وثمانين آية قد خاطب بها الله سبحانه وتعالى المؤمنين، وعشرين آية لمخاطبة الناس. . إن هذا التفريق في الخطاب ينطلق من اختلاف المؤمنين عن بقية الناس المسلمين. وقد سأل رجل الإمام الصادق عليه السلام عن الفرق بين الإسلام والإيمان فقال: الإسلام هو الظاهر الذي عليه الناس، شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصيام شهر رمضان فهذا هو الإسلام،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقال: الإيمان معرفة هذا الأمر مع هذا فإن مَنْ أقرّ بها ولم يعرف هذا الأمر كان مسلماً. .

هذا النص يحتاج إلى تدقيق، ففي البداية أطلق الإمام الصادق عليه السلام اسم الظاهر على الأركان الخمسة، وأن من يقوم بها هو مسلم. . وقال الإمام: الإيمان (معرفة هذا الأمر) فما هو المقصود بهذا الأمر؟

في البداية وردت في النص كلمة (ظاهر الإسلام) أي الأركان الخمسة، وعلى هذا يكون المقصود بمعرفة هذا الأمر، هو: الكلمة المقابلة للظاهر، أي: الباطن. ومن هنا، فإن الإسلام هو ظاهر العبادات، والإيمان هو معرفة بواطنها. وهذه البواطن لا تعرف إلا عن طريق الإمام، وهنا يتضح الفرق بين الإسلام والإيمان. . ولا بد من ذكر بعض الأمثلة من القرآن الكريم: قال تعالى: (يا أيها الذين أمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى).

قال تعالى: (يا أيها الذين أمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم. .)

ونسأل: لماذا لم يكن الخطاب للمسلمين؟

إن الجواب يتعلق بوجود الفرق بين المؤمن الذي يفهم معنى صلاته وصيامه (الباطن)، وبين المسلم الذي يؤدي الصلاة والصيام والزكاة والحج أداء ظاهرياً، دون أن يعرف لها معنى، وضمن هذا السياق نذكر القصة التالية: فقد كان الإمام علي عليه السلام في حرب صفين واقفاً، يراقب الشمس من أجل صلاة المغرب، فقال له ابن عباس: ليس هذا وقت صلاة، إنَّ لدينا لشغلاً، فقال علي: علام نقاتلهم؟ إنما نقاتلهم على الصلاة. نقول: لو كان المقصود بالصلاة هو إقامتها فقط، فإن معاوية ومن معه كانوا يصلون. . وكانت المعارك تتوقف

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحياناً من أجل الصلاة، ثم تستأنف بعد انتهائها. لهذا نؤكد أن الإمام علي عليه السلام كان يقصد بقوله (إنما نقاتلهم على الصلاة) المعنى العميق الباطني لمفهوم الصلاة.

وجاء عن الإمام الباقر عليه السلام قوله: الإيمان ما استقر في القلب (العقل) وأفضى به إلى الله عز وجل، وصدقه العمل بالطاعة، والتسليم لأمره، والإسلام ما ظهر من قول أو فعل، وهو الذي عليه جماعة من الناس من الفرق كلها، وبه حقنت الدماء، وعليه جرت المواريث، وجاز النكاح، واجتمعوا على الصلاة والزكاة والصوم والحج.

وقال أيضاً: بني الإسلام على خمس دعائم، إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم شهر رمضان، وحج البيت الحرام، والولاية لنا أهل البيت.

إذاً: الإيمان يرتبط بمعرفة هذه العبادات، وهذا الباطن لا يعرفه إلا الإمام كما ذكرنا، ومن هنا فإن الإمامة ركن لا غنى للمؤمن عنها، ولا يستقيم الدين من دون إمام، ولكي تتضح الصورة أكثر، فقد رأينا أن نتحدث عن درجات المؤمنين في الأرض من خلال علم الأئمة من كتاب (الأصول من الكافي للكليني الرازي).

إن المؤمنين في الأرض هم على سبع مراتب، أي: أن المؤمن يبدأ بالدرجة الأولى، ثم ينتقل صعوداً إلى الثانية والثالثة وحتى السابعة، وهنا يكتمل إيمان المؤمن وتصعد روحه إلى الجنة. (انتهى)

وهذا التدرج يأتي عبر الامتحان، وبنتيجته يتم الانتقال من درجة إلى أخرى وصولاً للصفاء.

وقال أبو جعفر عليه السلام: إن المؤمنين على منازل: منهم على واحدة، ومنهم على اثنين، ومنهم على ثلاث، ومنهم على

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أربع، ومنهم على خمس، ومنهم على ست، ومنهم على سبع، فلو ذهبت تحمل على صاحب الواحدة ثنتين لم يقو، وعلى صاحب الثنتين ثلاث لم يقو، وعلى صاحب الثلاث أربعاً لم يقو، وعلى صاحب الأربع خمساً لم يقو، وعلى صاحب الخمس ستاً لم يقو، وعلى صاحب الست سبعاً لم يقو، وعلى هذا القياس الدرجات.

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ما أنتم والبراءة، يبرأ بعضكم من بعض، إن المؤمنين بعضهم أفضل من بعض، وبعضهم أكثر صلاة من بعض، وبعضهم أنفذ بصراً من بعض: وهي الدرجات.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: بينا رسول الله (ε) في بعض أسفاره إذ لقيه ركب، فقالوا: السلام عليك يا رسول الله، فقال: ما أنتم؟ فقالوا: نحن مؤمنون يا رسول الله، قال: فما حقيقة إيمانكم؟ قالوا: الرضا بقضاء الله والتفويض إلى الله والتسليم لأمر الله، فقال رسول الله (ε) علماء حكماء كادوا أن يكونوا من الحكمة أنبياء، فإن كنتم صادقين فلا تبنوا ما لا تسكنون ولا تجمعوا ما لا تأكلون واتقوا الله الذي إليه تُرجعون.

أما الشواهد القرآنية الدالة على هذا التدرج في الإيمان أي الدرجات السبع للمؤمن فسوف نذكر بعضاً من هذه الآيات:

1-قال تعالى في سورة المائدة 6: (يا أيها الذين أمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين).

2- قال تعالى في سورة النساء 43: (يا أيها الذين أمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى. .).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

3- قال تعالى في سورة النساء 59: (يا أيها الذين أمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم).

4- قال تعالى في سورة النساء 29: (يا أيها الذين أمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض).

5- قال تعالى في سورة آل عمران 130: (يا أيها الذين أمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون).

6- قال تعالى في سورة النساء 44: (يا أيها الذين أمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين).

7- قال تعالى في سورة آل عمران 149: (يا أيها الذين أمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم).

8- قال تعالى في سورة البقرة 264: (يا أيها الذين أمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى).

9- قال تعالى في سورة البقرة 153: (يا أيها الذين أمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين).

إن من يدقق في هذه الآيات القرآنية فسوف يرى بوضوح أن هؤلاء المؤمنين ليسوا على درجة واحدة من الإيمان. ولكن الملفت للانتباه أيضاً، هو هذا السؤال الذي لا بد منه وهو: لماذا كان الخطاب للمؤمنين وليس للمسلمين؟ لنأخذ إحدى هذه الآيات السابقة ثم نبحث عن الجواب. والآية هي آية الوضوء (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة...).

من الناحية العملية هناك كما قلنا درجات للمؤمنين، وبالتأكيد هناك درجات للمسلمين، وربما كان من أدنى هذه الدرجات قوله تعالى في سورة التوبة 101: (وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

عظيم). وكذلك في قوله تعالى في سورة التوبة 97: (الأعراب اشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله. .) ولو سألنا أنفسنا من هم الذين يشكلون الأكثرية: المؤمنون أم المسلمون المخاطبون بقوله تعالى (يا أيها الناس)؟ لوجدنا أن الجواب يتضح بالعودة إلى النصوص القرآنية وهي كثيرة، (تحدثنا عنها بالتفصيل في كتابنا الكنوز المخفية في بحوث إسلامية – بحث التأويل) وسنكتفي بذكر ثلاث آيات:

الأولى: قال تعالى في سورة الفرقان 44: (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً).

الثانية: قال تعالى في سورة النحل: (ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفوراً) 89.

الثالثة: قال تعالى في سورة الفرقان (وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً) 30.

وكلمة قومي هنا تعني أكثرية الناس.

ولكي لا يلتبس في الأذهان مفهوم كلمة الناس، نوضحها على الشكل التالي من حيث معناها:

1- قد تدل على المؤمنين والمسلمين معاً كما جاء في الآية السابقة: (ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن). قال تعالى في سورة فاطر 3: (يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله) والناس هنا تشمل المؤمنين بمختلف درجاتهم وتشمل المسلمين بمختلف درجاتهم، وكذلك البشر من مختلف الأديان.

2- قد تدل على ضعاف الإيمان من المسلمين كقوله تعالى في سورة الحج 5: (يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب). لأن المؤمنين لا يمكن أن يكونوا في ريب

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

من البعث، ولوعدنا إلى الآيات التي خاطب الله سبحانه وتعالى المؤمنين بها لما وجدنا فيها آية واحدة تتحدث عن شك المؤمنين بالبعث.

3- قد تدل على الكافرين فقط، كقوله تعالى في سورة البقرة 24: (فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة...) والناس هنا هم الكفار. والكفار هم الذين انحدروا من مراتب المسلم المتنوعة هبوطاً حتى وصلوا إلى الكفر من خلال الامتحان. . وهم عندما يصلون إلى هذا الدرك من الكفر يتماثلون مع الكفار الذين رفضوا الإسلام، وتدل عليهم سورة واحدة هي (الكافرون). وإذا أضفنا إلى ما ذكرناه أن عدد الآيات التي خاطب الله سبحانه وتعالى الناس بقوله (يا أيها الناس) هي عشرون أية فقط، وليس في آية واحدة منها على سبيل المثال ذكر للصلاة ولا للحج ولا الزكاة ولا الصيام. . إلخ لماذا؟

لأن كلمة الناس هنا تعني أقواماً ما زالوا في المرحلة الابتدائية، وعليهم أن ينتقلوا باجتهادهم وتعلمهم إلى الدرجة الأولى من الإيمان، (وقد رأينا أن هذه الدرجات سبع) وعند ذلك يُطلب منهم الصلاة والصيام والحج والزكاة والجهاد وغيرها. . ولكن هذا لا يعني أنهم لا يصلون ولا يصومون. . ولكن يعني أنهم لن يستفيدوا من هذه العبادات في دخول الجنة إلا عندما ينتقلون من الإسلام إلى الدرجة الأولى من الإيمان ومن ثم يتدرجون صعوداً حتى الدرجة السابعة ومنها إلى الجنة.

إن الانتقال من الإسلام إلى الإيمان يرتبط بمعرفة باطن هذه العبادات، وهذا الباطن يرتبط بالإمام المعصوم... ومن هنا، فإن الإمامة ركن لا غنى عنه لكل مسلم مؤمن. قال تعالى (وكل شيء أحصيناه في إمام مبين) والإمام المبين هو الذي يوضح للناس ما اشتكل عليهم من الآيات والأحاديث. قال

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

الإمام الرضى (ع) إن الإمامة أس الإسلام النامي وفرعه السامي. إذاً: لا غنى للمسلمين عن الأئمة، والأئمة كما أوضحنا بالأدلة القاطعة هم: أهل بيت النبوة، الذين أولهم: الإمام علي، وأخرهم: الإمام محمد بن الحسن سلام الله عليهم أجمعين، وأنهم هم المقصودون بالخلفاء الاثني عشر بعد الرسول (ε) وكلهم هاد ومهتدٍ وكلهم عدول، وبأيهم اقتدينا اهتدينا. . وكانوا هم المعنيين بقول الرسول: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ).

(أخرجه الترمذي وابن ماجة والبيهقي وأحمد بن حنبل).

وهذا الحديث يتفق مع حديثه عن الخلفاء بأنهم اثنا عشر ويتناقض مع أحاديث أخرى، كحديث الحوض وغيره مما ذكرناه سابقاً.

وأخيراً لنا عودة مفصلة قليلاً إلى معنى الخليفة ففي (لسان العرب) وجدنا باختصار هذه المعاني: الخليفة الذي يستخلف ممن قبله والجمع خلائف مثل كريمة كرائم وقال سيبويه: خليفة وخلفاء. وقالوا خليفة على وزن فعيلة لا تجمع على وزن فعلاء، وقال الزجّاج جاز أن يقال للأئمة خلفاء الله في أرضه بقوله تعالى: (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض) وقيل أيضاً: الخليفة: السلطان الأعظم. وقالوا خلفاء من أجل أنه لا يقع إلا على مذكر وفيه الهاء فجمعوه على إسقاطها فصار مثل ظريف وظرفاء لأن فعيلة بالهاء لا تجمع على فعلاء.

وقال الفرّاء في قوله تعالى: (هو الذي جعلكم خلائف في الأرض) يخلف بعضكم بعضاً. ويتضح لنا مما سبق أن جمع

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

خليفة في القرآن الكريم جاء بصيغة واحدة هي (خلائف) مع أنها يمكن أن تجمع على خلفاء.

وباعتقادنا أن هذا كان مقصوداً من حيث المعنى (فالخلائف) (وقد ذكرنا الآيات المتعلقة بهم) يحكمون بعلم الله ومعرضون للخطأ والصواب وواقعون في الامتحان والبلوى، ويمكن أن يكونوا ذكوراً أو إناثاً، وهم في كل مكان من العالم قديماً وحديثاً ومستقبلاً. . وأما كلمة (خليفة) فقد تبين من النص القرآني أنها خاصة بمن يعينه الله سبحانه وتعالى بشكل مباشر كما كان الحال مع آدم وداود عليهما السلام أو عندما يكون ذلك التعيين بطلب من رسول وبموافقة إلهية كما حدث مع موسى وهارون عليهما السلام. قال تعالى على لسان موسى: (واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي. . قال قد أوتيت سؤلك يا موسى).

إذاً الخلافة هنا بأمر إلهي وليست امتحاناً وبلوى. . وعلى هذا المبدأ نقول إن الرسول (ε) قد استخدم كلمة (خلفاء) عن قصد وإدراك ولم يستخدم كلمة خلائف لأنه صلوات الله عليه وآله كان يعلم علم اليقين أن بين اللفظين فرقاً، فالخلائف يحكمون بعلم الله بينما الخلفاء يحكمون بأمره وهم معصومون ولا يكونون إلا ذكوراً. وقد سبق لنا أن أشرنا إلى الحديثين اللذين استخدم فيهما الرسول (ε) كلمة (خلفاء) بالجمع، وقد حدد في أحدهما عدد الخلفاء بعده باثني عشر خليفة.

إن هذا التحديد العددي الذي صرّح به رسول الله (ε) لا يمكن أن يكون قد حدث إلا مترافقاً مع ذكر أسمائهم، فمن غير المعقول أن أي زعيم أو رئيس أو قائد يقول لرعيته إن الخلفاء بعدي اثنا عشر رجلاً دون أن يحدد أسماءهم تاركاً لغيره هذه المهمة الجليلة متجاهلاً أن الناس سيختلفون من بعده حتماً، إذ لا فائدة من هذا التحديد العددي إلا المزيد من الاختلاف!؟

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

لهذا نعتقد أن الرسول (ε) قد ذكر أسماءهم واحداً واحداً كما أوضحنا ذلك في كتابنا (الكنوز المخفية في بحوث إسلامية) وهذا هو المنطق الديني السليم المنسجم مع أهمية الخلافة وكونها أمراً إلهياً لا خيار للبشر فيه.

لهذا فإن الإدعاء بأن تعيين (الخليفة) عن طريق الشورى هو إدعاء مناقض لما ذكره الله سبحانه وتعالى بالنصوص الواضحة.

وأَّما الآيتان اللتان تتحدثان عن الشورى فسنتوقف عندهما قليلاً.

الآية الأولى: قال تعالى في سورة الشورى /38/:

» والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون «.

هذه الآية تتحدث عن قوم مؤمنين يتشاورون فيما بينهم وينفقون مما رزقهم الله، فإذا أردنا أن نعتمد هذه الآية الكريمة في مسألة الخلافة فسيكون لدينا إشكاليتان:

الأولى: وتتعلق بعدد المؤمنين وهم قلة في ذلك النسيج الإسلامي آنذاك ومن غير المعقول أن نقصر (شورى الخلافة) عليهم ونستبعد الآخرين، ناهيك أنه لا يحق لأحد أن يقول: هذه المجموعة مؤمنة وهي وحدها مكلفة بتعيين الخليفة، وتلك المجموعة غير مؤمنة ولا يحق لها أن تشارك. وفي الوقت ذاته إذا سُمح للجميع بالمساهمة في انتقاء الخليفة فإن الأكثرية غير المؤمنة ستنتخب ممثلاً لها بعيداً عن المجموعة المؤمنة القليلة العدد.

الثانية: لو كان المقصود بهذه الآية (شورى الخلافة) لكان هناك تناقض مع الآيات التي كان فيها تعيين الخليفة أمراً إليهاً،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وتناقض آخر مع قوله تعالى (. . ما كان لهم الخيرة من أمرهم).

والنتيجة أن هذه الآية لا علاقة لها بشورى الخلافة، ولو كانت كذلك لشكَّل الرسول (ε) مجلساً للشورى.

الآية الثانية في سورة آل عمران /159/:

» فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر«.

هذه الآية تتحدث عن لطف الرسول (ε) وكياسته وأدبه وأخلاقه الرفيعة وهو يتعامل مع قوم حديثي العهد بالإسلام. ولهذا يطلب الله سبحانه وتعالى من رسوله الكريم أن يتجاوز عنهم ويستغفر لهم ويشاورهم في أمورهم لكسب ودهم. . ونسأل: ما علاقة هذه الحالة بشورى الخلافة؟

بالتأكيد ليست هناك أي علاقة.

وجاء في تفسير الجلالين لكلمة (وشاورهم) (ص 94):

استخرج آراءهم في الأمر أي شأنك من الحرب وتطييباً لقلوبهم.

إذاً كيف نفهم من هذه الآية شورى الخلافة، والخلافة من أعظم الأمور شأناً، لهذا قال رب العالمين: (... ما كان لهم الخيرة من أمرهم) وبالتأكيد فإن كلمة (أمرهم) في هذه الآية الكريمة لا تعني أموراً حياتية يومية عادية ولكنها تعني ولاية الأمر العامة أي الخلافة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

وما ينسحب على كلمة خليفة ينسحب أيضاً على كلمة (إمام) قال تعالى لإبراهيم عليه السلام (إني جاعلك للناس إماماً) وهذا تأكيد قطعي على أن الإمامة أمر إلهي وليس من البشر ولا تحق هذه التسمية لأحد دون نص.

وقد وردت كلمة (خلفاء) بمعنى خلائف كما في سورة الأعراف: قال تعالى: (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح...) 69 (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد...) 79

لأن المقصودين في هاتين الآيتين ليسوا من الأنبياء المعصومين.

وقد جاء في كتاب (تحف العقول عن آل الرسول) تأليف الشيخ الثقة أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرَّاني من أعلام القرن الرابع الهجري... عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم:

1- مَنْ أنبت شجرة لم ينبته الله (يعني من نصَّب إماماً لم ينصبه الله).

2- من جحد إماماً نصَّبه الله.

3- من زعم أن لهذين سهماً في الإسلام. ثم قرأ قوله تعالى في سورة القصص: (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة من أمرهم) 69.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

خاتمة

بعد أن استعرضنا وجهتي نظر فيما يتعلق بالنبوة والخلافة والإمامة، وأكدنا من وجهة نظرنا أن واحدة منهما هي الأكثر صحة، وهي وجهة نظر أهل البيت، نعود للتأكيد بأننا نحترم وجهة النظر الأخرى. .

وأما الدعوة إلى الحوار بين المذاهب والأديان فيجب أن تنطلق-في رأينا-من اعتبارات محددة لكي تؤدي إلى نتائج إيجابية ومنها:

1- لا يجوز أن يؤدي الحوار إلى أي شكل من أشكال الصدام وتبادل التهم، كما يحدث أحياناً في بعض الفضائيات العربية لأن ذلك سيؤدي إلى مزيد من الانشقاق والفرقة، ولكن الحوار المثمر هو الذي يفتح المجال أمام كل طرف ليعرض وجهة نظره في الموضوعات المتفق على بحثها إلى أن تكتمل صورة كل بحث من وجهة نظر كل فريق، وهنا ينتهي الحوار ويترك للجمهور الحكم على ما يراه صحيحاً من هنا أوهناك، فمن المؤكد بعد انتهاء الحوار أن أحداً من المتحاورين لن يعلن عن تغيير موقفه.

2- إن الاختلاف بين المذاهب والأديان مسألة معقدة، ولا نستطيع تجاوزها إيجابياً إلا إذا كنا قادرين فعلاً على نبذ العصبية والتكفير والعنف وتبادل التهم، وقادرين على أن يعترف كل واحد منا بوجود الآراء الأخرى والتي يجب عليه احترامها.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

3- لا يجوز أن نربط ربطاً ميكانيكياً بين ما نسميه (حقيقة) وبين الأكثرية لأن النصوص القرآنية واضحة كل الوضوح بان الأكثرية، هكذا بالمطلق، ليست على صواب.

4- إننا نعتقد أن هذه المبادئ ونظائرها لم تراع بالشكل المطلوب لا في الماضي ولا في الحاضر ولن تراعى مستقبلاً لأسباب تراكمية فلسفية لا نريد الخوض فيها الآن وقد نختلف فيها مع الكثيرين ولكننا قد لا نختلف معهم بان هذه الخلافات يصعب تجاوزها. . وسأذكر هنا بعض الأمثلة: فقد استضافت محطة فضائية عربية رجل دين يمثل حزباً معروفاً، وقد أباح لنفسه أن يكفر كل شخص لا ينتمي إلى أحد المذاهب الأربعة (أي تكفير كل الأقليات الأخرى) مع الإشارة إلى أنه لم يكن هناك طرف مقابل لرجل الدين هذا، أي أن التكفير قد تم دون أن يكون هناك استفزاز من طرف معارض! وهناك أيضاً بعض العلماء الإسلاميين (المعتدلين) يرون كذلك أن الحوار مع (الأقليات الدينية) غير وارد لأن هذه الأقليات، حسب رأيهم قد ابتعدت عن الإسلام، وهذا كله يؤدي إلى مزيد من الفرقة والتمزق.

لهذا نرى أن ما يفيدنا جميعاً دون استثناء هو الاعتماد على الأسس التالية:

1- أن يقتصر الحوار الديني على عرض وجهات النظر فقط كما ذكرنا سابقاً.

2- الالتزام الثابت بمقولة (الدين لله والوطن للجميع) والحجة في ذلك أن المسلمين مختلفون في قضايا التفسير والتأويل والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه، وأن الوصول إلى وحدة فكرية أمر مستحيل.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

لهذا نقول: ليعبد كل إنسان الله على طريقته التي يؤمن بها لان حساب الناس جميعاً هو يوم القيامة ولا يحق لأحد أن يحاسب غيره بسبب خلاف في الرؤيا.

إذاً رب العالمين هو وحده الذي يفصل بين كل هؤلاء البشر. قال تعالى في سورة الحج: (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد) 52.

ومن الطبيعي أن المحالين إلى محكمة لا يحق لهم أن يحاسبوا بعضهم والقرار في ذلك لله وحده لأنه هو الذي خلق أرواحهم في هذه الطائفة أو تلك وفي هذا المذهب أو ذاك.

3- قال رسول الله: المسلم من سلم الناس من يده ولسانه وعينه.

والناس هنا تشمل جميع البشر دون استثناء مهما اختلفوا في العقيدة أو الجنس أو اللون.

إذاً: كل أذية مرفوضة إلا عندما يكون هناك مسوغ قانوني لان الوطن للجميع يتساوى فيه أبناؤه أمام القوانين والأنظمة ولا فرق بين إنسان وآخر إلا بالعمل المفيد وبالالتزام بالقيم الأخلاقية والوطنية، ولا يحق لأحد أن يكون فوق القوانين لاعتبارات دينية أو مذهبية أوعرقية، وكل من يقترف ذنباً بحق الناس والوطن فإن القضاء العادل يجب أن يطاله، ومن هنا نقول يجب على الحكومات العربية والإسلامية وضع حد لهؤلاء المتطرفين الذين يصدرون الفتاوى التكفيرية بحق الآخرين، بل ويحاربون كل تفكير تقدمي.

وأما حوار الحضارات فهو ظاهرة تقدمية ما دام همها الجوهري مصلحة الإنسانية كلها بغض النظر عن الدين أو الجنس أو اللون...

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

وأخيراً أود أن أضع بين يدي القارئ بعض المؤشرات التي تدل على الاتجاه الديني الصحيح (من خلال علم أهل البيت عليهم السلام).

1- عدم تكفير الآخرين أو أذيتهم دون وجه قانوني لأن ذلك يتناقض كلياً مع روح الإسلام العظيم، وأنه لا يحق لأحد أن يكون وصياً على الدين، قال الإمام علي عليه السلام: الدين لله فلا يقبل الله من أحد القيام به إلا رسولاً أو نبياً أوصياً. وقال عليه السلام: هي نبوة ورسالة وإمامة وليس بعد ذلك إلا موالين متبعين أو عامهين مبتدعين، إنما يقبل الله من المتقين.

2- الاعتقاد بأن علم أهل البيت عليهم السلام هو المصدر الأساسي للفكر الإسلامي لأنهم معصومون مطهرون، علماء وأتقياء.

قال الإمام علي عليه السلام في إحدى وصاياه لكميل بن زياد: لا تأخذ إلا عنا تكن منا. وقال: يا كميل: إن رسول الله (ص) أدبه الله وهو أدبني وأن أؤدب المؤمنين. يا كميل: ما من علم إلا وأنا أفتحه، وما من سر إلا والقائم (المهدي) يختمه

3- أن يظهر تكريم رب العالمين للمؤمن بأشكال مختلفة ومنها على سبيل المثال:

- إطلاعه عن طريق الرؤيا على بعض الأمور المستقبلية: مثل حوادث وفاة بعض الأصدقاء أو كوارث أخرى أو أمور حياتية مختلفة.
- أن يكرمه الله سبحانه وتعالى بالحج إلى بيت الله الحرام وبزيارة قبر الرسول عن طريق الرؤيا أيضاً.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

- قد يكرمه الله بمعرفة العام الذي سيتوفاه الله فيه عن طريق الرؤيا.
- قد يرى أيضاً في رؤياه بعض الملائكة ويتحدث إليهم، وقد يعرف كذلك موقعه في الجنة.
- يعاقبه الله سبحانه وتعالى عندما يخطئ إمّا بشكل فوري وإما بشكل مؤجل قليلاً، والأفضل للمؤمن أن تكون العقوبة مباشرة.

وباعتقادنا أن مثل هذه الدلائل والمؤشرات إذا حدثت مع أي شخص فإنها ستكون بالتأكيد دليلاً قاطعاً على صحة توجهه الديني، وإذا لم تحدث فإن الاتجاه سيكون خاطئاً حتماً، أو أنه ما زال في مراحله الأولى.

إذاً لينظر كل واحد منا إلى نفسه بصدق وأمانة لينشغل بعيوبه بدلاً من عيوب الآخرين.

وعندها سيدرك: إذا كان مقصراً أم مجداً؟ أم هو سائر في طريق الهلاك، أم أنه في طريقه إلى الجنة؟ إن الإنسان إذا كان مؤمناً حقاً، لابد وأن تحدث معه مثل هذه الأمور للتأكيد على أن رب العالمين قد أكرمه وهداه ودله إلى الصراط المستقيم.

بقيت ملاحظة أردت أن أبينها للقارئ الكريم في هذه الخاتمة وهي أنني عندما اذكر الرسول أصلي عليه وآله ولا أذكر الصحابة وذلك لعدة أسباب:

الأول: إن الرسول (ε) أمرنا أن نصلي عليه وآله كالصلاة تماماً على إبراهيم وآل إبراهيم فقط.

الثاني: إن صلاة الله والملائكة والمسلمين على رسول الله (ε) لها معان محددة ذكرناها في كتابنا (الكنوز المخفية في بحوث إسلامية) يرجى العود إليها لمن يشاء.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الثالث: إن الصلاة على الصحابة أجمعين ليست سنة نبوية، بل هي سنة معاوية بن أبي سفيان كما ذكر ذلك القلقشندي.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفهرس

لنا كلمة
العصمة
الخلافة والإمامة
خاتمة
جدول حسابي لمعرفة أوائل الأشهر القمرية.

This file was downloaded from QuranicThought.com